1

قصتي مع جلجامش

نصوص وتفسيرات

الطبعة الثانية

د. أحمد تركي

عدد مايو ٢٠١٩

الكاتب: د. أحمد تركي

عنوان الكتاب: قصتي مع جلجامش، نصوص وتفسيرات

الناشر: ساحر الكتب

الطبعة الأولى: نوفمبر ٢٠١٨

الطبعة الثانية: مايو ٢٠١٩

تصميم الخطوط والتنسيق الداخلي: د. أحمد تركي

التصحيح اللغوي: د. أحمد جمعة الأشرم

تصميم الغلاف: مقتبس من كتاب بناء شخصية الأطفال-ليندا وريتشارد بر-تعريب: ابتسام الخضراء-شركة الحوار الثقافي-الطبعة العربية الأولى-٢٠٠٦-لبنان

جميع الحقوق محفوظة.

هل تقرأ الكتب؟

أنا أفعل، وسلكت في ذلك دروبًا كثيرة، ولم تسنح لي الفرصة كي أتحدث عنهن قط.

واجهتني مُشكلتين عويصتين في رحلتي مع القراءة، الأولى هي أني أُريد الانتهاء من قراءة الكتاب بسرعة، كي أُضيفه إلى قائمة ما تمت قراءته، وانتقل لما يليه، والثانية هي أني لا أتذكر عُشر ما أقرأ، ففي الروايات أتذكر الحبكة بصعوبة، وفي الكتب أتذكر مقولة أو اثنتين، وربما أتجاوز سطور الكتب صعبة الأسلوب ثم أدعي أني قرأتها، ولا أتذكر أني قرأت ديوان شعر وحفظت أحد أبياته، اللهم إلا بيت هنا وبيتين هناك، وكلمة واحدة من ديوان مديح الطائر لجيسواف ميووش "أمريكا المولوخ"!

كيف أُسمي نفسي قارئًا ولا أُسجل مُلاحظاتي وخواطري فيما أقرأ؟

كيف أدعي الثقافة، وهي لا تؤثر في شخصيتي وأخلاقي وأفكاري؟

وما هي الثقافة أصلًا؟

هذا التفكير هو بذرة سلسلة (قصتي مع..)، أعددت ثلاثين قائمة من أنواع الكتب المُختلفة، يُمكنكم الإطلاع على عناوين القوائم من **هُنا**، أختارُ كِتابًا منهم، وأعيش معه أسبوعًا، أو اثنين، أو شهر إن لزم الأمر، أُفصص حِكمه، وأقرأ الكتب التي يُشير إليها، وسط متنه أو في مصادره، أطلع على مقالات قارئيه، وناقديه، وأنظر إلى ما كُتب عنه في Wikipedia وYoutube وGoodreads، وأُطعِم كل هذا بمخزوني الثقافي وأرائي في الحياة.

تجربة جديدة أخوضها في رحلتي مع القراءة والكتابة، وأرجو الله أن يوفقني، ويزيدني من بحر علمه الذي لا ينضب، والحمد لله رب العالمين.

إهداء

إلى جلجامش وكل جلجامش.

وإنكيدو وكل إنكيدو.

"الكتاب يُشبه الكائن الحي في دورة حياته، فهو يُولَد ويعيش مدة ثم يختفي ولا تجده بعد ذلك إلا في المكتبات العامة، ولكن بعضها يقاوم الزمن وقد يتحول إلى كلاسيكيات لا تخرج من دورة التداول.."

فراس السواح – مُقدمة أعماله الكاملة.

تمهيد ١١

اللغات والأداب في بلاد الرافدين القديمة ١٧
العلوم ٢١
الأديان ٢٢
مصادر الملحمة وتاريخها ٣٢
الفرق بين الملحمة والأسطورة ٥٢

ملخص الملحمة ٥٨

اللوح الأول ٦١
تفسيرات اللوح الأول ٦٩
اللوح الثاني ٧٣
تفسيرات اللوح الثاني ٧٧
اللوح الثالث ٨٠
تفسيرات اللوح الثالث ٨٤
اللوح الرابع ٨٧
اللوح الخامس ٨٨
تفسيرات اللوح الخامس ٩١
اللوح السادس ٩٣
تفسيرات اللوح السادس ٩٨
اللوح السابع ١٠٢
تفسيرات اللوح السابع ١٠٦
اللوح الثامن ١١٠
اللوح التاسع ١١٢
تفسيرات اللوح التاسع ١١٥
اللوح العاشر ١٢١
تفسيرات اللوح العاشر ١٢٦
اللوح الحادي عشر ١٣١
تفسيرات اللوح الحادي عشر ١٣٦
اللوح الثاني عشر ١٥٣

القصائد السومرية ١٥٥
تفسيرات القصائد السومرية ١٥٧
واللوح الثاني عشر ١٥٧
روابط هامة ١٦١
تأثير ملحمة جلجامش على الأداب القديمة ١٦٢
الأنوناكي ١٦٦
قصيدة درويش ١٨٠
فائدة ١٨٧
نهاية ١٨٨
قائمة كتب تُقرأ فيما بعد ١٨٩
المصادر ١٩٢

جلجامش، ملك أوروك، كما يظهر في لُعبة Civilization IV

تمهيد

ملحمة جلجامش، أول قصة نجت من دروب الزمن في الأدب الإنساني، دُرة تاج أدب بلاد الرافدين القديم، وهي نص شعري طويل منقوش باللغة الأكدية البابلية، وبالخط المِسماري، على اثني عشر لوحًا فخاريًا عُثر عليهم في مكتبة الملك الأشوري آشور بنى بال في نينوى المُعاصرة بالعراق، وتحكي قصة الملك جلجامش، حاكم أوروك، كُبرى مدن سومر بين ٢٧٠٠-٢٦٠٠ قبل الميلاد، أي قبل ما يتجاوز الأربعة آلاف سنة، وتقع خرائب أوروك –أو الوركاء- على بُعد ٢٢٠ كم جنوب شرقي بغداد.

أول من ترجم الملحمة إلى العربية هو الباحث العراقي طه باقر في الستينات، وقد نالت الملحمة العديد من الألقاب العربية، فهي أوديسة العراق الخالدة عند طه باقر، ومن كنوز الأعماق عند فراس

السواح، والمُعلقة العربية الأولى كما أسماها نجيب البهبيتي.

تقول أحدث الدراسات العلمية أن عُمر الإنسان على كوكب الأرض يتجاوز المليون عام، وقد وُجدت حفائر لبقايا بشر متطورين تشريحيًا في إثيوبيا مثلًا تُقدر أعمارها بثلاثمائة ألف عام، إذن فتاريخنا الذي نعرفه منقوص، لأن نسبة هائلة من حياة البشر على الأرض لم تُدون، وهي العصور التي تُسمى بما قبل التاريخ، أي ما قبل اكتشاف القدرة على الكتابة، وهذه الحقيقة تُكسِب النصوص القديمة أهمية كبرى تتمثل في استكشاف طبيعة الحياة في هذه العصور السحيقة.

بلاد ما بين الرافدين Mesopotamia هي منطقة تاريخية في غرب أسيا تقع بين نهري دجلة والفُرات Tigris-Euphrates، وهي تتكون الآن من معظم دولة العراق، والكويت، وأجزاء من شمال المملكة العربية السعودية، وأجزاء من شرق سوريا، وأجزاء من جنوب شرق تُركيا.

وقد سكنت شعوب عدة هذه المنطقة منذ ما قبل بداية التاريخ المكتوب -٣١٠٠ ق.م تقريبًا- إلى سقوط بابل على يد الإمبراطورية الأخمينية الفارسية عام ٥٣٩ ق.م، فمنهم السومريون، وهم أقدم من سكنوا المنطقة بين ٤٥٠٠ و١٩٠٠ ق.م، والأكديون، الذين أقاموا أول إمبراطورية في المنطقة بين ٢٣٣٤ و٢١٥٤ ق.م، وقد ضمت المُتحدثين بالسومرية والأكدية تحت حكم واحد، ومنهم الأشوريون، ويُسمون أيضًا بالسريان أو الكلدان، وهم مجموعة عرقية تتواجد إلى الآن في العراق وسوريا ولبنان وإيران وتُركيا وعدة دول أخرى، والبابليون الذين اشتعلت جذوتهم في عهد حامورابي، واستمرت دولتهم بين ١٨٩٥ و٥٣٩ ق.م.

وقد قامت عدة ممالك ومدن هامة في منطقة ما بين الرافدين، وعاش بها مجموعة من أعظم القادة المعروفين على مر التاريخ، مثل سارجون الأكدي مؤسس الإمبراطورية الأكدية، وحامورابي مؤسس الدولة

البابلية القديمة، وأشور أوباليت الثاني مؤسس الإمبراطورية الأشورية، وبالطبع جلجامش ملك أوروك وبطل ملحمتنا.

ولسكان وادي الرافدين –دجلة والفرات- أو العراق حاليًا سبق هائل في تأسيس الحضارة، إلى جانب سُكان وادي النيل وسكان شبه جزيرة الهند، فمدنهم –مثل أوروك وبابل وآشور- وأنظمة الحكم – كشريعة حامورابي- وابتكارهم للكتابة والعجلات الفخارية والمركبات التي تسير على العجل، والصور الأولية من علوم الرياضيات والفلك دلائل على عظم هذه الحضارة، وظهرت في هذه المنطقة بوادر الثورة الزراعية Neolithic revolution قبل اثني عشر ألف سنة، حيث تمت زراعة أول محاصيل الحبوب كالقمح والشعير.

وتُعد المُحاولات الأدبية في هذه المنطقة أقدم المُحاولات الإنسانية للتعبير عن معنى الحياة وقيمتها، وقد سبقت كل الآداب القديمة

الأخرى، فلم يصلنا شيء من أدب أو شعر مكتوب في عصر الأهرامات بمصر القديمة، والأدب الكنعاني يعود إلى ما يُقارب ١٤٠٠ ق.م، والأدب العبراني (كتابة التوراة) والأدب الأغريقي (الإلياذة والأوديسة) والأدب الهندي القديم (الريج فيدا) والأدب الفارسي القديم (الأفستا) كلهم كانوا فيما قبل ٦٠٠-٥٠٠ ق.م، في حين تم تدوين ألواح ملحمة جلجامش السومرية ثم البابلية ما بين ٣٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ ق.م.

كلمة Mesopotamia تأتي من الأصلين اليونايين القديمين ميزو Meso أي وسط، وبوتاموس Potamos أي نهر، وتترجم إلى ما بين النهرين، وهي في الأصل ترجمة للفظة توجد في اللغتين الأرامية والعبرية، Naharaim ناهرايم (لاحظ التشابه بينها وبين نهر بالعربية).

وقد ذُكرت الكلمة في الوثيقة Anabasis of Alexander

والتي تحكي تاريخ غزوات الإسكندر الأكبر في القرن الثاني الميلادي، فتُشير الكلمة إلى الأراضي شرق الفُرات في سوريا، وبعد ذلك تم تعميم اللفظة على المنطقة كُلها.

اللغات والأداب في بلاد الرافدين القديمة

أقدم لغة هي السومرية، وهي لغة معزولة لا قرابة لها لما سبقها من لُغات، وتم التحدث بها وباللغات السامية في نفس الوقت، وفي الألفية الرابعة قبل الميلاد، تم اختراع الكتابة المسمارية Cuneiform لكتابة اللغة السومرية.

أما اللغة الأكدية فقد شاعت في عهد الأكديين والأشوريين القُدامى، وظلت السومرية تُستخدم في الشئون الإدارية والدينية والأدبية والعلمية، ثم أصبحت الأرامية القديمة اللغة الأساسية في الإمبراطورية الأشورية الحديثة وعهد الأخمينيين الفرس.

عمرت المدن والمعابد في إمبراطورية بابل بالمكتبات، وهناك مثل سومري قديم يقول: إن من يتفوق في المدرسة، سيُشرق مع الشمس في الفجر.

وتُدرَس العديد من الأعمال المُنتمية لهذه الحضارة في زمننا هذا، كشريعة حامورابي، أول قانون كُتب في التاريخ، وملحمة جلجامش بالطبع، والتي ذكرنا أنها كُتبت بالغة الأكدية، والحقيقة التي يوردها فراس السواح هي أنه –ورغم وضوح مُفردات اللغة الأكدية وصيغها– ما زالت الكثير من المُفردات موضع جدل من عدة نواحٍ، ويكفي أنها لُغة منقرضة لا يتحدث بها أحد الآن لنُدرك وعورة الموقف، وبالتالي فإن الترجمة هنا ترتبط بعملية التفسير، فتؤدي كل كلمة معناها في فهم وتأويل النص، وهذا يتطلب فهم ثقافة بلاد الرافدين، ودراسة معاني الكلمات في القاموس الأكدي وفي الجذور الثقافية للغتين السومرية والأكدية.

ولأن الكتابة كانت فنًا حديثًا، فكان من يكتب ينال مركزًا مرموقًا في المجتمع البابلي، وكانوا يكتبون بالخط المسماري على ألواح من الطين الرطب بقلم ذي رأس شبيه برأس السهم أو بالإسفين، فإذا امتلأ

اللوح كتابة جففوه أو حرقوه.

ولقد حيرت هذه الكتابات العلماء فعجزوا دهورًا عن فك رموزها، وفي عام ١٨٠٢ جاء جورج جرونفند أستاذ اللغة اليونانية بجامعة جوتنجن الأمانية وقال أنه توصل لمعنى ثمانِ حروف من اثنين وأربعين حرفًا تُنقش في المخطوطات المسمارية، وأنه ميز أسماء ثلاثة ملوك فيها، وفي عام ١٨٣٥ قرأ هنري رولنسن وهو دبلوماسي بريطاني في إيران نقش مكتوب بالخط الفارسي القديم وهو مشتق من الكتابة البابلية، ثم عُثر على نقش كبير عند جبال ميديا في شمال غرب إيران، سجل فيه داريوس الأول الملك الفارسي انتصاراته بثلاث لُغات، منها الفارسية القديمة والأكدية، فاسموه نقش بيستون، تبعًا لاسم الجبل الذي نُقش عليه السجل، وهو بذلك يُشبه حجر رشيد الذي احتوى على ثلاث لُغات: اليونانية القديمة والهيروغليفية والديموطيقية، منها ما نعرف ترجمته –اليونانية القديمة في حجر

رشيد والفارسية القديمة في حجر بيستون- وبافتراض أن كل نص هو ترجمة للأخر، استطاع العلماء فك شفرة اللغات المجهولة، وكان ارتفاع النقش نحو ثلاثمائة قدم -٩٠ مترًا تقريبًا- فوق سطح الأرض، فكان رولنسن يصعد إلى الصخرة لينسخ كل حرف بعناية، وفي كل مرة يتعرض لأخطار جمة، وفي عام ١٨٤٧ تُرجم النصين الأشوري والبابلي.

ثم –ولزيادة التأكيد- أُرسل نص مكتوب بالمسمارية لم يكن قد نُشر من قبل إلى أربعة علماء أثار أشورية، فاتفقوا في ترجمته بشكل شبه تام، وهنا باتت اللغة معروفة لدينا، وانفتحت خبايا حضارة بلاد الرافدين القديمة.

العلوم

تفوق البابليين في الرياضيات والعلوم والفلك القديم، وقد ساعدت معارفهم في تطور العلوم عند الرومان واليونانين والعرب، ولقد جذبني تطورهم في الطب، ففي عهد الملك (أداد-أبلا-إيدينا) ما بين ١٠٦٩-١٠٤٦ق.م، ظهر كتاب التشخيص للمؤلف إساجيل-كين-أبلي، وهو كتاب مُفصل في الطب البابلي، وفيه مبادئ التشخيص والفحص الجسماني ووصف الأدوية، ويحتوي على قائمة بالأعراض المرضية، وقد وصف مرض الصرع بدقة وشرح طُرق علاجه، وكانوا يُعالجون الأمراض بالضُمادات والدهانات والكبسولات التي تحتوى على الأعشاب المطحونة، إذا لم ينجح الطب في تخليص المريض من شكواه، كانوا يعمدون إلى طُرق طرد الأرواح الشريرة وتطهير الجسد والروح من اللعنات.

الأديان

العقائد والمُمارسات الدينية لشعوب هذه المنطقة تتفق وتختلف في نقاط كثيرة، وقد استمرت تلك الديانة المُسماة مجازًا بديانة بلاد الرافدين القديمة ما بين ٣٥٠٠ ق.م إلى ٤٠٠ بعد الميلاد عند انتشار المسيحية السريانية، وتتضمن الديانة عبادة قوى الطبيعة باعتبارها تمُد المجتمع بكل ما يحيا به.

وكما هو معروف، تنقسم نظرات الإنسان إلى الكون من حوله إلى: نظرة موضوعية تُسخر له إمكانات الكون فتنشأ العلوم والمعارف، ونظرة ميثولوجية، خيالية أسطورية، تُفسر الكون بسذاجة، وتعزو كل ظواهر الكون إلى آلهة ذوي أشكال بشرية وقدرات خارقة.

ولا توجد وثائق مُحددة تشرح الديانة ونظرتها الأسطورية للخلق والكون، ففي ملحمة الخلق البابلية (وهي رواية مُتأخرة كُتبت عام

١٢٠٠ ق.م) قتل الإله البابلي مردوك أمه الإلهة تيامات، واستخدم شطر جسدها في خلق الأرض والشطر الأخر في خلق الفردوس (سامو) والعالم الأخر (إيرسيتو).

والسمة الأساسية هنا هي تعدد الآلهة، فنرى بعضهم أقوى من الأخرين، وكان لكل مدينة إله حارس مُعين وهذا ما نجده أيضًا في الديانة المصرية القديمة، ويبلغ عدد آلهة المنطقة ألفين وأربعمائة إله تقريبًا، وقرأت أنهم أكثر من هذا العدد، ونجد أن للآلهة شكل بشري، ويتصرفون مثل البشر فيأكلون ويشربون، وأيضًا بالغي القوة، كُليي القُدرة والمعرفة، وهم خالدين لا يمر عليهم الزمن كما يمر على البشر، ومن أشهر خصائصهم الهالة المُضيئة التي تحيط بهم، فُترعب البشر الفانيين، وقد أمن سكان المنطقة أن تماثيلهم هي تجلٍ محسوس للإله نفسه.

جدير بالذكر أن الآلهة الأكادية هم أنفسم الآلهة السومرية، فإنليل،

ملك الآلهة السومرية، هو نفسه آنو عند الأكاديين، وإنكي السومري هو إيا الأكادي، ونانا إلهة القمر السومرية هي سين الأكادية، وأوتو إله الشمس السومري هو شمش الأكادي، وإلهة الخصوبة والجنس والحرب إنانا هي نفسها عِشتار، أما مَردوك فلم يكن ذا قيمة عند السومريين قبل أن يجعله حامورابي كبيرًا للآلهة مع آنو في بابل في القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

وتتعد تصانيف الأساطير السومرية، فبحسب تصنيف فراس السواح في كتابه متون سومر، هناك أساطير تناقش الخلق –خلق الكون ثم الآلهة ثم الإنسان في النهاية– وأساطير تفسر الظواهر الكونية وعلاقات الآلهة بالبشر، وأساطير تتنبأ بدمار الكون.

يؤمن السومريين أنهم ورثوا ماضٍ بعيد مجيد، عصر ذهبي يعمه السلام، "البشر بلسان واحد يُمجدون الإله إنليل"، وكما نرى فهي فكرة موجودة في عصرنا الحالي، الأمل في يوتوبيا حقيقية، يعيش فيها

البشر سُعداء دون مشاعر بغيضة ولا حزينة ولا حيوانات مُفترسة، السلام وفقط، كما نرى في قولهم إشارة إلى توحيد رب واحد، رغم أن كُل ما نراه عنهم في كتاباتهم يُشير إلى ديانة تتعدد آلهتها.

آمن السومريين أن الأرض (كي) قرص مستوٍ وليس كرة، تُحيط به الماء في البحر العلوي - يقصدون البحر الأبيض المتوسط- وتطفو على البحر السفلي –يقصدون الخليج العربي- ويُحيط بالأرض فضاء مثقوب بالكواكب والنجوم (إنليل)، ومن فوقها السماء (آن) على شكل قبة تُحيط بقرص الأرض والفضاء من فوقها، وأمنوا أيضًا أن الماء قي كل مكان يُحيط بهم، وأن الكون نفسه وُلد من هذا البحر الهائل .

تحكي أسطورة خلق الآلهة السومرية عن الإلهة نامو، الإلهة الأولى، أم الوجود، بحر أزلي من الماء، مصدر كل شيء، تصارعت الحركة مع

السكون في إرادة الخلق عندها، ومثلما يخرج الجنين من ماء الأم، ولدت ابنًا هو آنو إله السماء، ثم إنكي إلهة الأرض.

و يُطلق على أول أيام الخليقة اسم أوريا، الزمان الأول، وفيه انتقل الكون من مرحلة العدم إلى مرحلة الوجود، ولهذا تُسمى نامو ب(أما-تو-أن-كي)، يعني الأم التي ولدت السماء والأرض، فنشأ الكون (أن-كي) أي السماء-الأرض، المكان الأول.

ويُلاحظ التشابه بين اسم الإلهة نامو وبين كلمة (نمو) العربية.

ثم تزوجت الأرض والسماء فأنجبا إنليل إله الهواء، والذي ضاق بوالديه فدفعهما بعيدًا عن بعضهما، فحمل آنو السماء، وحمل إنليل الأرض، فانفصلت الأرض عن السماء بعدما كانا مُتحدين، ووُضع اسم الإنسان.

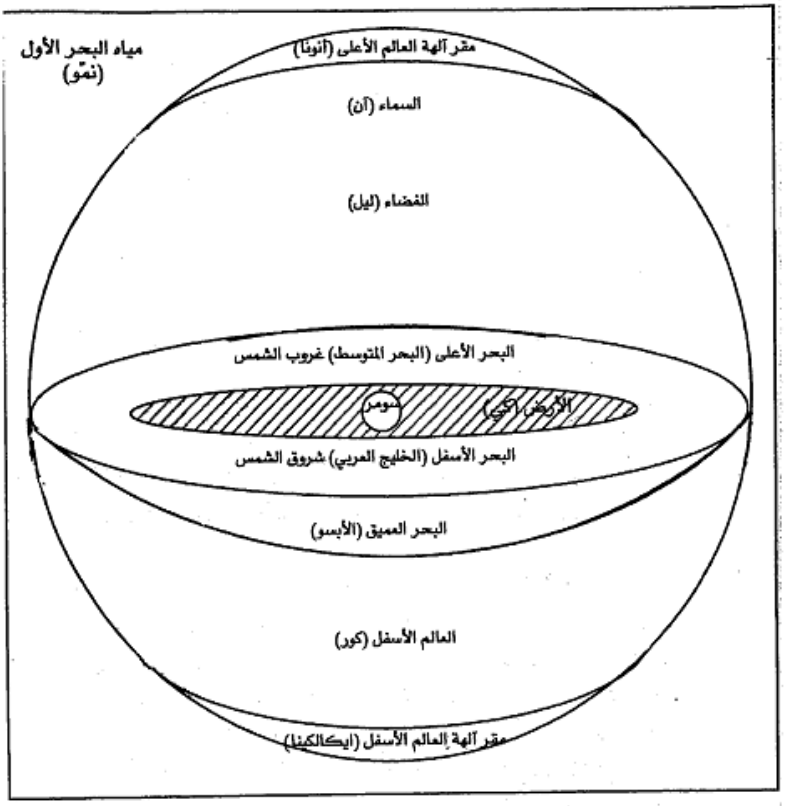

شكل (٢١)
الكوزمولوجيا السومرية
صورة الكون عند السومريين

ولما جلس آنو كبير الآلهة على عرش السماء خلق الأنوناكي، مجلس الآلهة الذين يحكمون الكون بالعدل، ووكل ابنه إنليل بحكم الأرض.

ثم أنجبا ابنًا ثانيًا وهو إنكي، سيد الأرض والماء، فإنليل وإنكي شقيقان، ولكل منهما صلاحياته.

وقد تحدث الكثيرون عن التشابه بين قصة خلق الكون هذه والقصة الواردة في سفر التكوين وأشهر مُقاربة عن ذلك هو أنه في البدء كان هُناك الماء، فمنه خُلق كل شيء، وهذا ما يُذكَر في القرآن أيضًا، يقول الله: "**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ..**" هود-٧

وقد اقترح فراس السواح شجرة أنساب للآلهة السومرية، نعرف بها قِدَم كل واحدٍ منهم، وأهميته:

١. آلهة البِدء الذين شكلوا الكون: نامو الإلهة الأم، وخرج منها أن- كي السماء والأرض.

٢. آلهة المصائر الذين خلقوا العالم: آن إله السماء وأعظم الآلهة، وزجته كي إلهة الأرض، وابنهما الأكبر إنليل إله الهواء وهو الإله القومي الأعظم ورئيس مجمع الأنوناكي، وقيل أنه أصبح لاحقًا بعل عند الكنعانيين –ذُكر بعل في القرآن إذ يقول الله: "**أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ**" الصافات-١٢٥- ومردوخ عند البابليين، ثم الابن الثاني هو إنكي إله الماء.

وهما ليسا الابنان الوحيدان، بل أنجب الزوجان آلهة أخرين، ولكن إنليل وإنكي احتفظا بقدر من الأهمية تفوق أشقاءهما، ثم أن إنليل وإنكي هما من أنجبا بقية الآلهة الذي يتحكم كل واحد فيهم في شيء من مُقدرات الكون، وهما أيضًا وحسب أساطير مُختلفة التفاصيل، من خلقا الإنسان الأول البدائي.

وقبل ظهور أوروك وحضارة سومر، كانت هُناك حضارة تُسمى تل العُبيد، وحاضرتهم إريدو، ويُقال في أسطورة الخلق السومرية: "في البدء لم يكن هُناك شيء، ثم كانت هُناك مدينة."، يقصدون إريدو.

وتحكي الأسطورة السومرية (إنانا وإنكي)، أن إنانا، إلهة الحب والخصوبة السومرية زارت إنكي إله المياه والحكمة وابن إلهي السماء والأرض، ومعبود إريدو، وهو والدها في بعض الأساطير المحكية، في أعماق الماء، فجلسا معًا يأكلان ويشربان، ولعبت الخمر برأس إنكي فقال: باسم قدرتي، وباسم هيكلي المُقدس، أُعطي ابنتي إنانا ناموس الكهنوت، ناموس الإلوهية، أعطيها ناموس التاج الجميل، وعرش الملوكية. فقالت إنانا: أقبل.

وعند انتهاء المأدبة، ركبت إنانا السماء لتعود إلى أوروك، فلما أفاق إنكي ندم، وبعث خلفها بتنانين البحر ورسوله إيزموند، المهم أن إنانا وصلت لأوروك فيعترف لها إنكي بحق حيازة النواميس ويدعو

لها ولأوروك بالازدهار والعظمة، وفي القصة رمزية واضحة لقصة انتقال مقومات الحضارة من إريدو العُبيدية إلى أوروك السومرية.

مصادر الملحمة وتاريخها

يبدأ تاريخ الملحمة بخمس قصائد سومرية (٢١٠٠ ق.م) عن (بلجامش-جلجامش بالسومرية)، ملك أوروك، من سلالة أور الثالثة، جُمعت هذه القصائد في ملحمة مُجمعة تُسمى النسخة البابلية القديمة (١٨٠٠ ق.م)، وسُميت (الذي تعدى كل الملوك Shutur eli sharri)، وإن كانت أحداث الملحمة تسبق هذه الفترة بكثير، ٢٧٠٠ – ٢٦٠٠ ق.م.

أما النسخة الأكادية القياسية أو الأساسية (ما بين ١٣٠٠ إلى ١٠٠٠ ق.م) وهو أخر وأهم نص تم العثور عليه، فسُميت (هو من رأى المجهول Sha naqba īmuru)، وتتكون من ١٢ حجرًا، وجدوا أفضلها حالة في أنقاض مكتبة الملك أشور بني بال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م)، أحد ملوك الإمبراطورية الأشورية الحديثة، مُوقعة

باسم الكاتب (سين ليقي أونيني)، وهو كاهن بابلي كتبها تقريبًا عام ١١٠٠ ق.م، ويجب القول أن النص الأساسي هذا قد استفاد من التطور الأدبي في المنطقة، فقد دخلت القصائد السومرية عن جلجامش ومعركته مع خمبابا ومعركته التالية مع ثور السماء وسط أحداث الملحمة، لكن الملحمة البابلية تميزت بأسلوب أدبي راقٍ، فانسجمت كل الأفكار والأشعار والأغاني في نسيج موحد النغمة.

اكتشف سير أوستن هنري ليرد (١٨١٧-١٨٩٤) وعالم الأشوريات الأشوري الأصل هُرمز رسام (١٨٢٦-١٩١٠) ألواح الملحمة عام ١٨٥٣ في نينوى بالعراق، وعَرفوا شخصيتها الرئيسية للعالم باسم (إيزدوبار)، وهذا قبل أن يتم نطق الاسم بطريقة صحيحة.

عالم الأشوريات البريطاني جورج سميث (١٨٤٠-١٨٧٦) هو أول من ترجم الملحمة، وكان الرجل قد أعلن عام ١٨٧٢ وجود ذكر للطوفان العظيم على الألواح في دراسة له قدمها في كتابه: The

chaldaean account of genesis، المنشور عام ١٨٨٠، وتعددت الاكتشافات الحجرية في العديد من الأماكن، إذ عُثر على العديد من الألواح وكسرات الألواح، كالنص الحثي والحوري والفلسطيني، وبرغم هذه النصوص الكثيرة إلا أن معظمها قد شوهه الزمن وخرق في سطوره فجوات، وهُناك الكثير من الخروم والسطور الممسوحة، وعلى الرغم من هذا أيضًا، ومع جمع السطور التي بقت على قيد الحياة، يُمكن الاعتبار أن الملحمة قد وصلت إلينا كاملة.

أما أفضل وأحدث ترجمة للانجليزية فتمت على يد الباحث الأكاديمي أندرو جورج (وُلد ١٩٥٥) بعنوان:

The epic of Gilgamesh, A new translation، ونشرتها Oxford Univ. Press عام ٢٠٠٣، وقد أصبح مجموع أسطر نص الملحمة ٦٣١٥٠ سطر، أما أول من ترجم الملحمة

من اللغة الأصلية إلى اللغة العربية فهو عالم الأثار العراقي طه باقر في الستينات.

وقد ذكر الرجل أنه ترجمها أولًا عام ١٩٥٠ من نص إنجليزي كان أحدث ترجمة وقتئذ، وهي ترجمة أليكساندر هيدل المنشورة عام ١٩٤٦، وبعدها توفرت له النصوص الأكدية الأصلية واستغل فترة تدريسه للغة المسمارية عام ١٩٥٢ كي يُترجم الملحمة ترجمة أكثر دقة، وقد راعى الترجمة سطرًا بسطر بأسلوب عربي دقيق والتزم التعابير البلاغية، أما د. نائل حنون فيقول-ورغم اعترافه بفضل ترجمة طه باقر في تعريف العرب بملحمة جلجامش لفهمه الرائع لروح النص- أن الترجمة لم تكن مُطابقة للأصل الأكادي، وأننا بذلك نحتاج ترجمة جديدة للملحمة، وهذا أمر لا يُنكره طه باقر، فهو يقول أنه حاول دقة الأداء قدر المُستطاع، ولا يدعي أن ترجمته تؤدي المعنى الأدبي الأصلي، ولا يُخفى أن اللغة العربية واللغة الأكدية رغم

انقراضها ينتميان إلى عائلة اللغات السامية وبالتالي تتقارب مُفرداتهما الأساسية وتركيباتهما النحوية، ولهذا السبب يدعي طه باقر أن الترجمة العربية هي الأقرب بين كل اللغات للنص الأصلي.

مر على أول اكتشاف ملحمة جلجامش ١٤٥ عامًا الآن، زخرت باكتشافت مُتواصلة لأجزاء أخرى ثم قراءات وترجمات وتفسيرات وأبحاث بلغات عدة، فمثلًا في عام ١٩٩٨ عُثر على كسرة صغيرة جدًا (2X3سم) في مخازن المتحف البريطاني، وهي هُناك منذ عام ١٨٧٨، واكتشف ثيودور كواسمان أنها تحمل كتابة مسمارية لأول سطور في ملحمة جلجامش، مما أدى لتعديل في قراءة مطلع الملحمة.

كُتبت الملحمة بلغة شعرية سلسة، ويُعد الشعر أقدم ما كتب البشر من أنواع الأدب، ويرى أغلب باحثي الأدب أن الغناء هو أصل الشعر في الأداب القديمة، فكلمة (شعر) في اللغات السامية تعني في الأصل الغناء، مثل (شيرو) الأكدية و(شور) الأرامية و(شير)

العبرانية، ومنها (شير هشريم) أي نشيد الأنشاد وهو أحد أسفار العهد القديم.

كُتبت ملحمة جلجامش بأسلوب شعري، والمعروف أن ترجمة الأشعار لا تأتي بنفس الموسيقى التي تجدها في النص الأصلي، فنحن في عصرنا هذا نقرأ الأشعار والأغاني الإنجليزية مثلًا فتجد فيها الموسيقى الشعرية المطلوبة في لغتهم، لكن ترجمتها إلى العربية تحتاج إلى متخصص تشرب اللغتين معًا ليُخرج النص الشعري بصورة بهية في لغته الجديدة، وهذا ما وجدته في ترجمة طه باقر لملحمة جلجامش، وربما كانت أول ما أحببت من الأشعار المُترجمة للعربية.

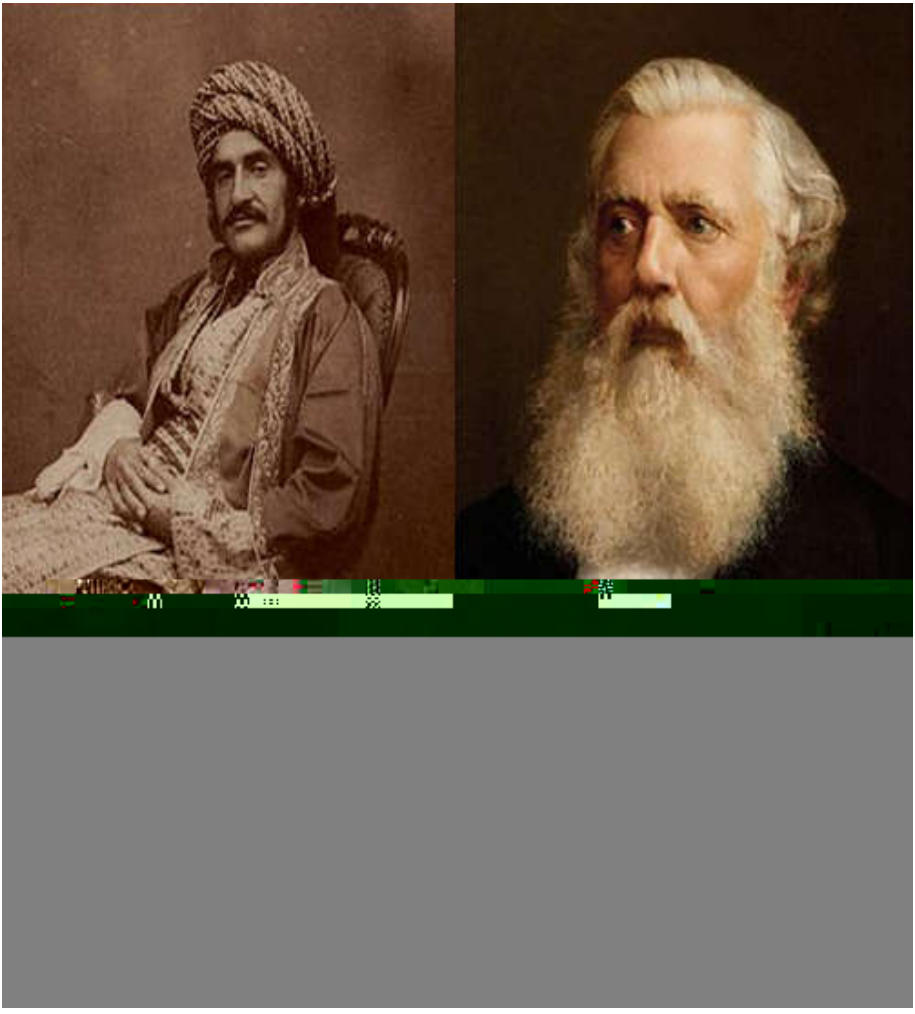

عن اليمين سير أوستن هنري ليرد، وعن اليسار هُرمز رسام.

كُتبت الملحمة في اثني عشر لوحًا فخاريًا منقوش على الوجهين، وقُسم اللوح الواحد إلى ستة أعمدة، تُقرأ من اليسار إلى اليمين، وفي كل سطر بيت شعر مكون من شطر واحد أو شطرين.

ملحمة جلجامش تبدأ بتعريف البطل وأمجاده وقدراته، ووصف أوروك، وتُنوه بسير أحداث القصة ونهايتها، وهو ما نراه في الأعمال العظمى لهوميروس –الإلياذة والأوديسة– والملحمة الجرمانية المُسماه (أغاني أرض الظلام The song of the Nibelungs) وفيها مُغامرات البطل سيجفريد في بورغاندي وأن أمراءها قتلوه، فانتقمت منهم زوجته وقتلتهم جميعًا ثم ماتت، وهذا الفعل يجذب القارئ أو السامع لتتبع الأحداث، كما أن ختم ديباجة الملحمة بنهاية قريبة بما بدأت به يؤكد أن ملحمة جلجامش وصلت إلينا كاملة، وهذا يُشبه السرد الروائي والسينمائي الحديث، حين نبدأ بحدث ما من الخاتمة، ثم تتسلسل الأحداث إلى أن نصل لهذه الخاتمة.

ويُذكر أن الملحمة تنتهي عند نهاية اللوح الحادي عشر، حيث يرجع جلجامش إلى أوروك بعد رحلة طويلة عصيبة بحث فيها عن الخلود كالآلهة ولم يُفلح، ويصف المدينة وأسوارها ومعبدها وهو عين ما تبدأ به الملحمة في لوحها الأول.

أما اللوح الثاني عشر، ففيه ترجمة أكدية لأسطورة (جلجامش وإنكيدو والعالم السفلي) السومرية، وهو مُلحق بالملحمة، لأن إنكيدو ما ظال حيًا فيه، رغم أنه قد مات في منتصف الملحمة، وهو حدث محوري غير حياة جلجامش، وربما كانت تلك الإضافة لإكساب النص قوة روحية طقسية توازن الأحداث الملحمية الدنوية في متن الرواية.

ويُذكر أن الأسطر الممسوحة والتالفة سببت ضررًا مُخيفًا في فهم المكتوب، وقد سعى الباحثون والمترجمون إلى ملأ هذه الثغرات بما يُناسب كل موضع، فمنهم من ملأها حسب فهمه، ومنهم من تركها

كما هي مُكتفيًا بالتعليق: كلمة ممسوحة، أو غامضة، وهكذا..

تُعالج قصة الملحمة قضايا إنسانية كبرى تشغل بال كل إنسان، كالموت والحياة وما يحدث بعد الموت والسعي نحو الخلود، كذلك تتحدث عن قضايا عامة كالصداقة والذكريات والبطولات والسعي نحو المعرفة والرثاء، كما نجد صور من حياة أهل العراق القديم وجوانب من عقائدهم الدينية ونظرتهم للحياة الاجتماعية والسياسية والكون من حولهم، كما نرى التدرج البشري من حياة البداوة إلى الحضارة، ومحاسن هذا التدرج ومثالبه، الملحمة رحلة بحث عن الحقيقة، والحقيقة هي "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ"، وهذا سبب أساسي لإعجابي بها.

ونرى أن للملحمة انتشارها الكبير في عصر ظهورها، فقد انتشرت في سومر وأكاد وبابل وفي الأناضول عند الحيثيين، بل وجدوا بعض الفصول في ماجيدو المدينة الفلسطينية القديمة المذكورة في التوراة،

ثم في العصور التالية وسنرى التشابهات بين ملحمة جلجامش وأساطير هرقل وأوديسيوس، وكذلك التشابهات مع قصة الخلق في التوراة وقصة النبي نوح والطوفان العظيم.

وكما يقول طه باقر "لو لم يأتنا من حضارة وادي الرافدين، من منجزاتها وعلومها وفنونها، شيء سوى هذه الملحمة، لكانت جديرة بأن تتبوأ تلك الحضارة مكانة سامية بين الحضارات العالمية القديمة."

بعيدًا عن القصة الملحمية الأسطورية، فجلجامش شخصية تاريخية حقيقية ذُكر اسمه في ثبت الملوك السومريين، وهو من سلالة الوركاء الأولى، ثاني سلالة تحكم أوروك بعد الطوفان، والأولى هي سلالة كيش، ويأتي ترتيب حكمه خامسًا، وهم بالترتيب:

١. مسكيا-جاشر: حكم ٣٢٢ سنة.

٢. انمر كار: حكم ٤٢٠ سنة.

٣. لوجال بندا (المُقدس، إله جلجامش الراعي، وأبو جلجامش حسب نص الملحمة): حكم ١٢٠٠ سنة.

٤. دوموزي: حكم ١٠٠ سنة.

٥. جلجامش: حكم ١٢٦ سنة.

٦. أورننكال (ابن جلجامش): حكم ٣٠ سنة.

وفي ثبت الملوك السابق ذكره، نجد أن والد جلجامش هو كاهن كُلاب –وهي قسم من مدينة أوروك، غير القسم الذي فيه معبد أي-أنا المُخصص لعبادة الإله أنو والإلهة إنانا- ويُكنى ب(للا)، أما في الأسطورة فهو ابن الإلهة ننسون زوجة الإله لوجال بندا، وقد بنى جلجامش سور مدينة الوركاء-أوروك، وذُكر أنه مؤسس سلالة أور الثالثة، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه النسخة من الإثبات كُتبت بعد

جلجامش بثمانية أو تسعة قرون.

ويُذكر أنه لم يُكتشَف نص مسماري مُعاصر لجلجامش يذكر اسمه، وهذا لأن الكتابة كاختراع كان في مراحله الأولى وقتها.

وذكر الكاتب الروماني كلاوديوس إليانوس أن الملك البابلي سيوخوروس انجب ابنًا، فتنبأ الكلدانيون أنه حين يكبر سيغتصب العرش من أبيه، فقرر الملك إلقاءه من أعلى الحصن ، فأنقذه نسر يطير، ثم عثر عليه أحد الخدم فسماه (كل كاموس) -لاحظ تشابه الاسم مع جلجامش- ولما كبر حكم بابل بالفعل.

ولا نعلم معنى لاسم جلجامش على وجه التحديد، هناك ترجمة بالأكدية معناها المُحارب الذي في المقدمة، وهناك ترجمة سومرية معناها الرجل الذي سيكون نواة شجرة جديدة ، يعني الذي سيكون أسرة.

كما يُلاحظ التشابه الكبير بين لفظة أوروك O واسم الدولة الحالي، العراق[ ] ، في السومرية يعني مدينة، وأوروك في الأرامية إيريك، وفي الفارسية القديمة إيراق، ويُقال أن أوروك ذُكرت في سفر التكوين التوراتي في معرض الحديث عن النمرود:

وَكَانَ ابْتِدَاءُ مَمْلَكَتِهِ بَابِلَ وَأَرَكَ وَأَكَّدَ وَكَلْنَةَ، فِي أَرْضِ شِنْعَارَ ١٠:١٠.

الكاتب إلى النجاة بملحمته من الضياع، إذ أن السطور الضائعة يمكن استنباطها من السطور الناجية، فلو حدث أن طُمس سطر يُمكن للقارئ الذي سيأتي بعد ألاف السنين توقع ما كُتب في هذا الموضع.

يتساءل الباحث فراس السواح فيقول: "..إلى جانب استمراري في التعرف على إشكاليات النص وخفاياه، ومن خلال مُتابعة الترجمات الجديدة، كنت أتحسس تدريجيًا معانيه العميقة والفكرة الأساسية التي يُريد نقلها، كم كانت بسيطة وكم كانت عصية. هل يكمن السبب في خفاءها، اختلاف آلية تفكيرها اليوم عنها قبل أربعة ألاف عام؟ أم أن كاتب النص قد أخفى عمدًا فكرته الأساسية وراء عدد من الأفكار الظاهرة؟ لست أدري، لقد لخصت معنى النص كما فهمته بقول شاعر الهند الشهير (طاغور): آه يا روحي، لا تطمحي إلى الخلود، بل استنفذي حدود الممكن."

زخرت الأداب القديمة بالتحدث عن الخالدين والمُعَمَرين والأبطال الذين خاضوا الصعاب والملاحم ليتغلبوا على الموت، وقد ذكر طه باقر بعض هؤلاء في الأدب العربي، فمنهم الخضر (نُسب له الخلود الأبدي)، وذي القرنين، وتُبَع الأوسط الحميري وقد ذُكر قومه في سورة الدخان: "أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ"، وشمر يرعش ملك حمير، وقيس بن زُهير الغطفاني بطل حرب داحس والغبراء، ولقمان الذي قيل أنه خُير بين سبع بقرات وسبع نسور، فاستحقر الأبقار واختار النسور، وقد عاش عُمر السبع نسور، وكان الفرخ منهم يعيش خمسمائة سنة، كلما هلك أحدهم خلفه الذي يليه، ويموت لُقمان بموت أخرهم واسمه (لبد)، وبهذا يكون قد عاش ثلاثة ألاف وخمسمائة سنة، وضرب المثل بلبد النسر فقالوا: طال الأبد على لبد.

يقول الأعشى:

وأنت الذي أليهت قبلًا بكاسه * ولقمان إذ خيرت لقمان في العمر

لنفسك أن تختار سبعة أنسر * إذا ما مضى نسر خلوت إلى نسر

فعمر حتى خال أن نسوره خلود * وهل تبقى النفوس على الدهر

ويقول لبيد:

ولقد جرى لبد فأدرك جريه * ريب المنون وكان غير مثقل

لما رأى لبد النسور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الأعزل

من تحته لقمان يرجو نهضة * ولقد يرى لقمان ألا يأتلي

الفرق بين الملحمة والأسطورة

١. الملحمة قصة إنسانية أبطالها بشر، وغاياتهم دنيوية، والآلهة تُكمل الأحداث فقط، أما الأسطورة فأبطالها آلهة، وغاياتهم ميتافيزيقية، والبشر فيها عنصر مكمل.

٢. الملحمة تتحدث عن بطل نبيل، أعماله وما مر به، دون الاعتناء بالمُجتمعات ومصائرها، أما الأسطورة فهي تبين قدرة الآلهة في عالم البشر.

٣. الملحمة تجمع عدة نصوص قديمة، مكتوبة أو مُشافهة، فتصنع منها رواية مُتماسكة لا نعرف لها مؤلف، فالتعديلات فيها كثيرة، وكذلك الفروق بين نسخه المُختلفة، أما الأسطورة فهو نص مُقدس، جاء من عند الآلهة، قيمتاز بالثبات النسبي، وصعوبة التعديل فيه.

٤. الملحمة تحدث في زمن مُعين، وأصطلح على تسميته عصر

البطولة، أما الأسطورة فلا يُمكن تحديد زمن لها.

٥. قد تُشير الملحمة إلى أساطير ، وهذا ليس مقصودًا لذاته بل لخدمة وقائع الملحمة، وكما يقول روجيه جارودي: الأسطورة (علم) بدائي. ويقول مِرسيا إلياد في كتابه (مظاهر الأسطورة): "القيمة اليقينية للأسطورة هي تثبيتها دوريًا بالطقوس، إن تذكُر الحدث البدئي –بدء الخليقة– وتحينه يُساعدان على تمييز الحقيقي والاحتفاظ به، بفضل التكرار المُستمر، فينكشف شيء ما يُوصف بالثبات والصلابة في الدفق الزمني لما قد جرى في ذلك الزمان." بتصرف.

ويقول أيضًا: "إن الأسطورة تروى تاريخًا مقدسًا، حدث جرى في زمن البدايات، أي أنها تحكي كيف جاءت حقيق ما إلى الوجود."

ويقول جون روسكين: "الأسطورة في نظر الشخص الوضيع قليلة المعنى، لكنها عظيمة في نظر الشخص النبيل."

أما أرسطو فيرى أن الملحمة هي مُحاكاة لموضوع جاد من الشعر الرصين، وتتميز بتشعب الموضوعات رغم وجود حدث أساسي.

ويقول محمود درويش "نحن، من أثر النشيد الملحمي على المكان، كريشة النسر العجوز، خيامنا في الريح."

مُلخص الملحمة

تتحدث القصة عن جلجامش، ملك أوروك، ثُلثاه إله وثلث بشري، قوي وسيم حكيم، ولكنه يضطهد شعبه، وإنكيدو، رجل بدائي يعيش في الغابة مع الحيوانات، خلقته الآلهة ليُوقف جلجامش عن اضطهاد لشعبه.

ثم أصبح إنكيدو رجلًا مُتحضرًا بعد تعرفه على عاهرة مُقدسة، وترك حياة البرية، ثم سافر إلى أوروك، وتحدى جلجامش في اختبار قوة، ورغم فوز جلجامش، أصبح الإثنان صديقين.

معًا، اقتحما حدائق الأرز الأُسطورية، ليذبحا حارس الغابة (همبابا أو خمبابا)، وقطعا الأشجار المُقدسة.

ثم بعثت إليهم عِشتار، إلهة الخُصوبة والجنس والحرب، بثور السماء، ليُعاقب جلجامش على أفعاله، فقتله جلجامش وإنكيدو، وهُنا

قررت الآلهة مُعاقبتهما، ولأن جلجامش ذو أصل إلهي، قررا موت إنكيدو.

يرثي جلجامش صديقه، ويُصيبه الاكتئاب، ويهيم على وجهه، ثم يرحل في رحلة طويلة ليكتشف سر الحياة الأبدية، عند أوتو-نبشتم، الناجي الوحيد من الطوفان العظيم، ويكتشف في النهاية أن: "الحياة، التي تبحث عنها، لن تجدها، لأن الآلهة حين خلقوا الإنسان، جعلوا الموت من نصيبه، وحملوا حياته بين أيديهم."، وتنتهي الملحمة بإقرار جلجامش بهذه الحقيقة، وعودته لأوروك.

عن اليمين جلجامش، ملك أوروك، وعن اليسار إنكيدو، الرجل البدائي.

ملخص الملحمة

حسب ترجمة أندرو جورج (٢٠٠٣)

وطه باقر (١٩٦٢)

"لأنه ليس من قدر الإنسان أن يحيا إلى الأبد ولكن لإنجازاته أن تُخلد اسمه للأجيال اللاحقة."

عن اليمين طه باقر، وعن اليسار أندرو جورج.

اللوح الأول

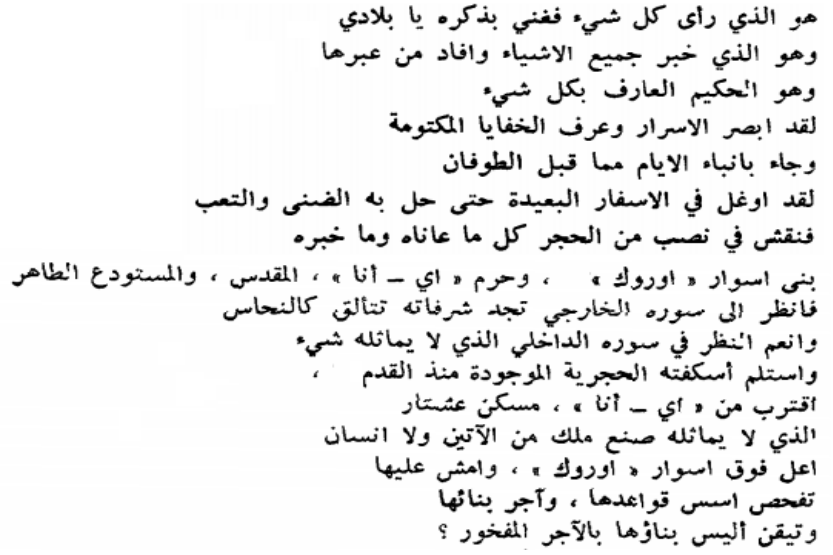
هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يا بلادي
وهو الذي خبر جميع الاشياء وافاد من عبرها
وهو الحكيم العارف بكل شيء
لقد ابصر الاسرار وعرف الخفايا المكتومة
وجاء بانباء الايام مما قبل الطوفان
لقد اوغل في الاسفار البعيدة حتى حل به الضنى والتعب
فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وما خبره
بنى اسوار « اوروك » ، وحرم « اي ــ أنا » ، المقدس ، والمستودع الطاهر
فانظر الى سوره الخارجي تجد شرفاته تتألق كالنحاس
وانعم النظر في سوره الداخلي الذي لا يماثله شيء
واستلم أسكفته الحجرية الموجودة منذ القدم ،
اقترب من « اي ــ أنا » ، مسكن عشتار
الذي لا يماثله صنع ملك من الآتين ولا انسان
اعل فوق اسوار « اوروك » ، وامش عليها
تفحص اسس قواعدها ، وآجر بنائها
وتيقن أليس بناؤها بالآجر المفخور ؟

تبدأ الملحمة بوصف جلجامش، ملك أوروك، ثُلثاه إله، وثلثه الباقي بشر، وهو رجل قوي ووسيم وحكيم، طوله أحد عشر ذراعًا، وعرض صدره تسعة أشبار، لا يُضاهيه أحد في قوته، وهو من بنى أسوار أوروك، التي تُوصف ب(السور والحِمى)، لكنه يظلم أهل

أوروك، ويدخل على النساء ليلة عُرسهن قبل أزواجهم، ويوقِظ الرجال بضرب الطبل، ليعملوا بالسخرة تحت قدميه.

وعلى ضربات الطبل تستيقظ رعيته
لازم ابطال « اوروك » حجراتهم متذمرين شاكين :
لم يترك جلجامش ابنا لابيه
ولم تنقطع مظالمه عن الناس ليل نهار
ولكن جلجامش هو راعي « اوروك » ، السور والحمى
انه راعينا : قوي وجميل وحكيم

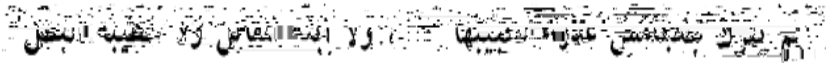

فرفع آهل أوروك شكواهم إلى الآلهة، فاستجاب لهم (آنو) كبير الآلهة، وتوجه إلى الإلهة الأم (أرورو) –والتي هي نامو نفسها– التي خلقت جلجامش، وطلب منها أن تخلق ندًا لجلجامش، يُضارعه في قوته وعزمه، فتصورت في لُبها صورة لآنو، وأخذت قبضة من طين

ورمتها في البرية، فكان منها إنكيدو الصنديد، الرجل البدائي المتوحش.

يكسو جسمه الشعر ، وشعر رأسه كشعر المرأة
جدائل شعر رأسه كشعر « نصابا »
لا يعرف الناس ولا البلاد ، ولباس جسمه مثل « سموقان »
ومع الظباء يأكل العشب ، ويسقى مع الحيوان من موارد الماء
ويطيب لبه عند ضجيج الحيوان في مورد الماء

عاش إنكيدو مع الحيوانات، يأكل حشائش الأرض ويُزاحم الحيوانات عند مورد المياه، ولباسه من جلودهم، وفي يوم أتى صياد إلى الغابة لينصب الفخاخ ويصطاد الحيوانات، ورأى إنكيدو فدخل إلى قلبه الخوف الشديد، وأخبر والده بما رأى، فأمره أن يذهب إلى جلجامش ليجد الحل، فلما التقى جلجامش قال له:

« هناك رجل عجيب انحدر من المرتفعات
انه اقوى من في البلاد ، وذو بأس شديد
وهو في شدة بأسه مثل عزم « آنو »
انه يجوب السهوب ويأكل العشب
ويرعى الكلأ مع حيوان البر ، ويسقى معها عند مورد الماء
لقد ذعرت منه فلم اقو على الاقتراب منه
لقد ملأ الآبار التي حفرتها
ومزق شباكي التي نصبت
فجعل الصيد وحيوان البر تفلت من يدي وحرمني من القنص في البرية

فأرسل جلجامش مع الصياد كاهنة بغي مقدسة من معبد إنانا – عشتار– تُسمى شامهات، و أمرهما أن يذهبا إلى مورد الماء ولما يظهر لهما إنكيدو تُغريه الكاهنة بمفاتنها.

فلما أتيا مورد الماء ورأت البغي إنكيدو، خافت وأحجمت، فقال لها الصياد ألا تخاف، أمرها أن تتعرى وتكشف مفاتنها، وأن تُراوده كي ينجذب إليها، فأرت إنكيدو مفاتنها فوقع عليها ستة أيام وسبع ليال، وعلمته فن المرأة، يقصد الكاتب الجِماع.

وبعد ان قضى وطره منها
وجه وجهه الى الفه من حيوان البر
فما ان رأت الظباء « انكيدو » حتى ولت عنه هاربة
وهرب من قربه حيوان البر
هم انكيدو ان يلحق بها ولكن شل جسمه
لقد خذلته ركبتاه لما اراد اللحاق بحيواناته
اضحى انكيدو خائر القوى لا يستطيع ان يعدو كما كان يفعل من قبل
ولكنه صار فطنا واسع الحس والفهم ٠

أي أنه بعد تلك الأيام مع البغي لم تعرفه الحيوانات، فلما رأته هربت، ولم يقدر على اللحاق بها، خارت قواه الحيوانية واكتسب القوى

البشرية، الفِطنة والفَهم، فعاد إلى البغي التي قالت له أن يعود معها إلى أوروك، حيث يعيش جلجامش المُتجبِر على الناس، فوافق إنكيدو وقال أنه سيُغلِظ لجلجامش القول، سيتحداه، ويصرخ في قلب أوروك أنه الأقوى.

اجل ! أنا الذي سيبدل المصائر
ان الذي ولد في البرية هو الاشد والاقوى

فهدأت البغي من روعه، وقالت أن الآلهة خصت جلجامش بالرعاية والفهم الواسع، وأنه أشد بأسًا من إنكيدو، وقبل أن يُهجرا صحراء البرية سيراه جلجامش في الرؤى وهو في أوروك.

وبالفعل، قص جلجامش على أمه الإلهة ننسون، أنه رأى حُلمًا فيه أن كوكبًا من السماء قد سقط عليه، وكأنه شهاب السماء (آنو)، حاول رفعه وتحريكه فلم يقدر، فانحنى عليه كما ينحني على إمرأة، وساعده الناس فحملوه ورفعوه عند قدميّ أمه، فجعلته نظيرًا لجلجامش، ورأى حُلمًا أخر بنفس ترتيب الأحداث، وبدل الكوكب رأى فأسًا

ذات شكل عجيب، ففسرته أمه الرؤيتين أن الشهاب والفأس هما صاحب قوي، أقوى من في البراري، وعزمه مثل عزم (آنو)، وأنه

تفسيرات اللوح الأول

* من العجيب أن جلجامش محبوب رغم جبروته وطغيانه، والتفسير المُقنع بالنسبة لي هو أنه كان ذو طاقة عظيمة، ويجهل أين يُفرغها، ولم يكن جبروته نابعًا عن حُمقٍ أو سادية، ولا ننسى أن ثُلثاه إله، وهو كذلك من جهة عقله ونفسه، فكان أهل أوروك يعددون مظالمه ثم يذكرون حمايته ورعايته لهم "هو راعينا القوي الوسيم الحكيم"، وربما أصابه هذا بالإنعزال عن مُحيطه، وهو أيضًا ما يُفسر إعجاب شعبه ثم إعجابه هو نفسه بإنكيدو حين ظهر عليهم.

* ننسون هي أم جلجامش، وهي إلهة ثانوية في مجتمع الآلهة السومرية، وتُنعت بالبقرة الوحشية كناية عن قوتها، وأبوه هو لوجال بندا، ثالث ملوك أوروك بعد الطوفان، ويُعد إله جلجامش الحامي، والمُرجح أن والد جلجامش الحقيقي هو كاهن كولاب الأعلى،

فيكون لوجال بندا بمثابة أبًا روحيًا له، خاصة أن الملك دوموزي قد فصل في حكم أوروك بين لوجال بندا وجلجامش، وربما كانت التقاليد السومرية هي تأليه الملوك، كما فعل قوم نوح عليه السلام من تأليه للصالحين أمثال ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فهي عبادة الأجداد، أو تحويلهم بعد موتهم إلى ملائكة حارسة، وهو تقليد بشري مُستمر إلى يومنا هذا.

* آنو هو إله السماء وكبير مجمع الآلهة، وشمش هو إله الشمس وأخو عِشتار، وهم أبناء آنو، ولأنه يظهر للبشر يوميًا، فيشعرون بدفئه ونوره، فاعتبروه أقرب إله لهم، وربطوا العدالة والقانون به.

* كاهنة الحب أو شامهات أو شامخاتو، وقد اُختلف هل هذا اسمها أم كلمة تُطلق على العاهرات المُقدسات في معابد عشتار-إنانا، وهي إحدى الموكلات بالبغاء المُقدس، فهي عاهرة، وقارنها بالعاهرة الحمراء ميليساندرا في لعبة العروش.

ويجب إدراك أن طقوس الجنس المقدس كانت شائعة في معابد عِشتار بل وفي كل أرجاء الشرق القديم، فهو ليس إرضاء لغرض دنيوي ومتعة شخصية، بل هو قوة كونية تزرعها فيهم آلهة الحب، وهو سبب الارتباط بين الجنس المقدس والعبادة.

عِشتار هي إلهة الحب والجمال والجنس والحرب، وسيكون لها دور هام في حياة جلجامش وإنكي.

إنانا –عِشتار.

* لابد أن حالة من عدم الرضا قد أصاب طبقات مجتمع أوروك بسبب ديكتاتورية جلجامش، وكانت دعواتهم للآلهة لتخليصهم من جلجامش رد فعل إنساني طبيعي ضد أفعاله المكروهة، وبذلك يكون إنكيدو رمزًا لثورة مُنتظرة ضد نظام جلجامش السياسي.

* يُشار لإنكيدو في النص الأكدي بكلمو (لاللو)، وتُترجم بالرجل البدائي أو الرجل الوحش، تذكرون بالطبع الشكل المشهور لرجال الكهف في الأفلام، رُبما يكون هذا أقرب وصف لشكل إنكيدو عبر الكلمات المسمارية المنحوتة على الصخر، لكنه يظهر في التماثيل بشكل مُختلف، فنجد له قرنين ينبتان من رأسه، وذيل في بعض الأحيان، وهناك بعض التصاوير تُظهره بشكل قردٍ ضخم!

* نصابا هي إلهة الحبوب والغلة، وسموقان هو إله الماشية.

اللوح الثاني

نسى إنكيدو المكان الذي وُلد فيه، وقالت له البغي أنها ستأخذه إلى أوروك، حيث أي-أنا، مسكن آنو، وحيث جلجامش، أخذت البغي إنكيدو كما تفعل الأم بطفلها إلى مُخيم الرعاة، ووضعوا له خُبزًا فلم يعرف كيف يأكله، ولا كيف يشرب الخمر، فقالت البغي:

كل الخبز يآ انكيدو ، فانه مادة الحياة
واشرب من الشراب القوي ، فهذه عادة البلاد ٠

علمته فأكل الخبز حتى شبع، وشرب سبعة أقداح من المُسكر، واستحم وتطيب بالزيت وارتدى ملابس جديدة، وصار كالعريس، صار إنسانًا، وأصبح حارسًا ليليًا، يطرد السباع ويصطاد الذئاب، وجاء عابر سبيل أو رُبما رسول بعثه أهل أوروك لإنكيدو، يشتكي له من مُعاملة جلجامش للعرائس، يطأ العرائس المنذورات للزواج، إذ يكون هو العريس الأول قبل أزواجهم، فامتقع وجه إنكيدو

وغضب، وقرر السفر لأوروك ليمنع جلجامش من ظلم الناس.

مشى إنكيدو في المُقدمة وخلفه كاهنة الحب، ولما دخل أوروك اجتمع الناس حوله، وقالوا:

انه مثيل لجلجامش ، انه اقصر قامة ولكنه اقوى عظما
انه اقوى من في البلاد (البرية) ، وله بأس شديد
لقد رضع لبن حيوان البر في البرية
وفي « اوروك » لن تنقطع قعقعة السلاح
فرح الرجال الشجعان وهللوا قائلين :
لقد ظهر بطل ند وكفوء للبطل الجميل
اجل ظهر لجلجامش ، الشبيه بالاله ، نظيره ومثيله

ولما هيأ جلجامش نفسه للزواج المُقدس، سد إنكيدو بالطريق، فتعاركا، وتصارعا كأنهما ثورين وحشيين، وبعد معركة عنيفة، اهتزت لهولها جدران المعابد، تأكد جلجامش أنه أقوى من إنكيدو فهدأت ثورته وقام ليمشي، فناداه إنكيدو، ومدحه، واعترف له بالأفضلية.

« انك الرجل الاوحد ، انت الذي حملتك امك ،
ولدتك امك « ننسون » ، البقرة الوحشية
ورفع انليل رأسك عاليا على الناس
وقدر اليك الملوكية على البشر »

شكل – ١ صراع جلجامش وانكيدو

تفسيرات اللوح الثاني

* إي-أنا، هو معبد عِشتار في الديانة السومرية القديمة، لكنهم يجعلونه مسكنًا للإله آنو في النص البابلي القديم، ، وربما كان هُناك صراع ديني وقتئذ بين ديانة عِشتار القدبمة، والديانة الذكورية الجديدة التي تُنزِل عِشتار من مركزها السامي.

* الخبز عند السومريين من النواميس التي قدمتها الآلهة للبشر بعد الخلق، فهو علامة على الحضارة كما في أسطورة إنانا وجلجامش وشجرة الخالوب، فلما يأكله إنكيدو يُصيبه التمدن ويتحصل على المعرفة، وربما كان لتعظيم الخبز ووجوده على الموائد الإلهية القديمة أثره في تعظيمه في المُجتمعات والديانات المُعاصرة.

وكذلك الماء، يأتي دليلًا على التطهر من الدنس والخطايا كما في الوضوء في الإسلام والتعميد في المسيحية، وفي الملحمة يغتسل

إنكيدو ليترك حياة الوحشية والبداوة وينتقل إلى حياة الحضارة.

* في يوم الزواج أو العرس المقدس، يُضاجع ملك سومر الإلهة عِشتار، والتي تتمثل في إحدى كاهناتها، فيجلب الخصب والرخاء في البلاد.

* يُلاحظ أنه في البداية، أخذت الكاهنة إنكيدو إلى مُخيم الرعاة، وفي النهاية تقدم إنكيدو نحو أوروك وخلفه الكاهنة، لقد عرف إنكيدو أنه مؤهل لأن يسير الناس خلفه.

* ونجد كذلك فرقًا أساسيًا بين جلجامش وإنكيدو، فكلاهما بالغ القوة، ويُكسبه هذا حُرية مُطلقة، لكن جلجامش يطغى على الناس، وإنكيدو يحميهم ويرعى ماشيتهم، ويغضب حين يعرف بأفعال جلجامش.

* ولقد أتهم بعض الباحثين جلجامش وإنكيدو بوجود علاقة شاذة

بينهما، حولت نظر جلجامش عن اضطهاده الجنسي لأهل أوروك، ويستند القائلين بهذا على لفظة يقولها جلجامش وهو يقص رؤيتيه على أمه: (ملت عليه كما أميل على إمرأة)، لم أتقبل الأمر منذ وقعت عليه عيني في كلام فراس السواح، ولقد فند الفكرة بسرعة واستبعد هذا الاحتمال، وقال أن هناك تقاليد أدبية شرقية نجدها كثيرًا عند المسلمين المُتصوفة، فلا يجدون أرقى من ألفاظ العشق وجمال الإناث ليصفوا به علاقات الحب الذي يعيشه الإنسان نحو إخوانه، بل ونحو الله سبحانه، وجاءت ألفاظ العشق الإلهي من هذا المنحى، إذن فالأمر كله لا يتعدى الحب الأفلاطوني، دون أي طموحات جسدية.

اللوح الثالث

أصبح البطلان صديقين بعد المصارعة، لا يُفارق أحدهما الأخر، ويبدو أن إنكيدو قد ضاق ذرعًا بحياة الحضارة المُملة، فكان يبكي ويقول:

« يا صديقي اشعر بان الخوف قد شل جوارحي
لقد خارت قواي ، وفقد ساعداي القوة »

فأراد جلجامش أن يُسري عن صديقه، ويُسطر اسمه بين الأبطال الخالدين، فاقترح رحلة إلى غابات الأرز المقدسة لقتل الوحش خُمبابا –ويُكتب أحيانًا همبابا أو حواوا، وهو عفريت رهيب يحرس غابات الأرز– فيحصلان على الشهرة والسمو، ولأن بداية اللوح الثالث تمتلئ بالخروم والسطور غير الواضحة، فلا نعرف على وجه التحديد الأسباب التي دفعت جلجامش لهذا التفكير، فحذره إنكيدو، وقال أنه يعرف الغابة وخُمبابا منذ كان في البراري، وقال أن الغابة ضخمة،

وزئير خُمبابا كالطوفان، وينبعث من فمه اللهب، ونفسه الموت ، وهو لا يُصد له هجوم، مُقاتل لا ينام أبدًا، فقال جلجامش أنه سيذهب وحده مع فأسه لو لزم الأمر.

فتح جلجامش فاه وقال لانكيدو :
« يا صديقي ، من الذي يستطيع ان يرقى اسباب السماء ؟
والآلهة وحدهم هم الذين يعيشون الى الابد مع « شمش »
أما ابناء البشر فايامهم معدودات
وكل ما عملوا هواء عبث ·
لقد صرت تخشى الموت ونحن ما زلنا هنا
فَماذَا دهى شجاعتك وبطولتك ؟
دعني اذن اتقدم قبلك ، وليناديني صوتك :
« تقدم ! ولا تخف !
واذا ما هلكت فساخلد لي اسما ، وسيقولون عني فيما بعد :
« لقد هلك جلجامش في النزال مع « خمبابا » ، المارد »

بقولك هذا احزنت قلبي
على انني سامد يدي واقطع اشجار الارز
واجعل اسمي خالدا
وساصدر يا صديقي اوامري الى صانعي السلاح
وسيصنعون السلاح بحضورنا »

أصر جلجامش على موقفه، فلم يملك إنكيدو إلا الذهاب معه.

تجمع الناس في شوارع أوروك، واجتمع جلجامش وإنكيدو مع

مجلس شيوخ أوروك:

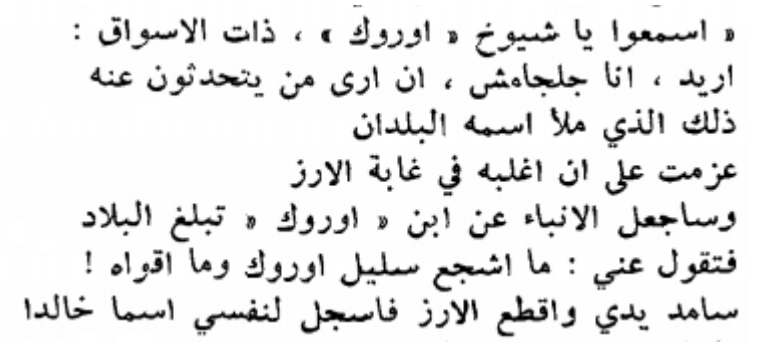
« اسمعوا يا شيوخ « اوروك » ، ذات الاسواق :
اريد ، انا جلجامش ، ان ارى من يتحدثون عنه
ذلك الذي ملأ اسمه البلدان
عزمت على ان اغلبه في غابة الارز
وساجعل الانباء عن ابن « اوروك » تبلغ البلاد
فتقول عني : ما اشجع سليل اوروك وما اقواه !
سامد يدي واقطع الارز فاسجل لنفسي اسما خالدا

أراد الشيوخ أن يُثنوا جلجامش عن هذا، قالوا أنه شاب حَدَث، ولا يعرف عاقبة ما هو مُقبل عليه، ولكنه رفض نصيحتهم قائلًا أنه لن يخاف من خُمبابا ويُلازم بيته، فدعا له الشيوخ بالنصر ، والعودة سالمًا إلى أوروك، فحمل جلجامش الفؤوس، وتقلد سيفه وتنكب قوس (أنشان) –وهي عربستان الحالية– ثم أشار عليه الشيوخ أن يجعل إنكيدو في المُقدمة، لأنه يعرف الطريق وخبير في القتال.

وان من يسير في الطليعة يحمي صاحبه
فدعه يتقدم وابق على نفسك
وعسى « شمش » ان ينصرك
وعساه ان يري عينيك ما قاله فمك
وعساه ان يمهد لك السبيل المسدود
ويفتح الطريق لمسراك ، ويفتح مسالك الجبال لقدميك
عسى الليل ان يأتيك بما يسرك ويفرحك
ليقف « لوكال بندا » بجانبك ويجعلك تنال النصر هينا
وفي نهر « خمبابا » الذي تسعى للوصول اليه اغسل قدميك
احفر بئرا في الاصيل ، ولتكن قربتك ملأى بالماء النقي على الدوام
قرب الماء البارد الى « شمش »
وردد ذكر « لوكال بندا » دائما » .

وفي المعبد مثلا أمام ننسون، فتقدمت إلى الإله شمش وقدمت له القربان وأحرقت البخور، ودعته كي يحفظ جلجامش، ويقتل خُمبابا المارد ويدمر كل شر يبغضه، ثم أنها تبنت إنكيدو كابن لها، وقلدته بعقد مقدس.

تفسيرات اللوح الثالث

* الساعة المُضاعفة مقياس مسافة بابلي، ويسواي نحو ١٠.٨ كم، وقيل في الملحمة أن مساحة غابة الأرز عشرة ألاف ساعة مُضاعفة، يعني تقريبًا ١٠٠ ألف كم مربع.

* الوزنة البابلية تساوي ستين منا بابلية، والمنا نحو نصف كجم أو رطل إنجليزي، وترجم فراس السواح كلمة وزنة عند طه باقر ب(الطالين)، وقال أنها تُعادل ستين رطلًا، وقد صنع الحدادون فؤوسًا تزن ثلاث وزنات، يعني ٩٠ كجم، وسيوف كبيرة وزنها وزنتان ونصف، يعني ٧٥ كجم، بل أن بطلينا الاثنين تسلحا بأسلحة زنتها عشر وزنات، يعني ٣٠٠ كجم، وربما كان هذا مجموع ما حملوه من زنة الأسلحة، وعلى كل حال فقوى بطلينا خارقة، كما أن هُناك تفسيرات أخرى لهذه الأوزان والمسافات سنأتي عليها في نهاية

الكتاب.

* ويبدو أن العراق القديم كانه به نظام ديمقراطي بدائي، فيه مجلس شيوخ يُستشارون في الأمور الهامة.

*شمش هو إله الشمس، الذي يُبجله البشر لأنه قريب منهم، ويحن عليهم بنوره ودفئه، وقد أصبح بذلك إلهًا للعدل، وربما يرجع اعتزام جلجامش قتل خُمبابا -مُمثلًا للشِر- إلى إرضاء شمش الذي يكره الشر.

اللوح الرابع

وبعد سفر عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بقليل من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل
ثم انطلقا سائرين خمسين ساعة مضاعفة اثناء النهار
وقطعا مدى سفر شهر ونصف الشهر في ثلاثة أيام
وحفرا بئرا تقربا الى الاله « شمش »
وبعد ان قطعا تلك المسافة الطويلة شارفا مدخل الغابة

رحلة طويلة كما يبدو، كان مدخل الغابة عجيبًا مُبهرًا، ووجدا عنده عفريتًا يتبع خُمبابا فقتلاه، فلما أراد إنكيدو دخول الغابة شُلت قواه بتأثير بابها المسحور، وحذر جلجامش من الدخول، فشجعه جلجامش، لن يعودا خائبين بعد كل هذه الصعاب، فتغلب إنكيدو على ما أصابه ودخلا الغابة.

*وبالأسفل نحت لخُمبابا ، الوحش الرهيب.

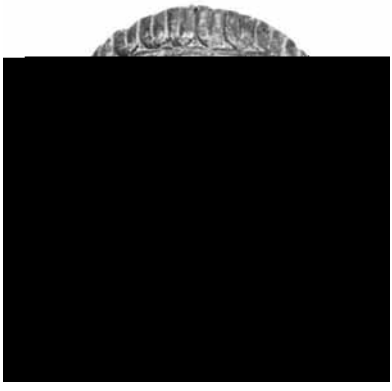

اللوح الخامس

فرأوا جبالًا خُضرًا، ، وجبل أرز خاص بالآلهة، ومنصة عرش ارنيني –وهي عِشتار التي هي روح الغابة–، وعند مغرب الشمس حفر جلجامش بئرًا، وارتقى جبلًا وقدم قُربانًا، ودعا الجبل أن يُريه حُلمًا، فرأى عدة أحلام، ثلاثة في غالب الأمر، تختلف تفاصيلها بين نُسخ الملحمة، لقد رأى جلجامش جبلًا ضخمًا يسقط، وصراعه مع ثور بري، وطائر رعدي، وأنوار طاغية وعواصف رعد وبرق تنطفأ فجأة، كُلها أحلام توحي بتوتر قلب جلجامش وتفكره في ما هو قادم من قتال خُمبابا ، وقد فسر إنكيدو الأحلام بانتصارهما على خُمبابا، وأن شمش سيقدم لهما يد العون حين يحتاجانها.

بدأ جلجامش يقطع أشجار الأرز بفأسه، فسمعهما خُمبابا فهاج وزمجر، وتهيأ للهجوم عليهما فاستحوذ عليهما الرعب، اتهم خُمبابا

إنكيدو بالخيانة وبأنه لا أب له، وتوعد جلجامش باطعام لحمه للطيور، خاف جلجامش فشجعه إنكيدو على بدء القتال، اهتزت الجبال وأسودت السماء، تضرعا إلى شمش ليُعينهما فاستجاب لهما، وأرسل ثلاثة عشر ريحًا –وقيل سبعة، وقيل ثمانية- ليُعمي ويشل خُمبابا ، فأسروه، وعندما شعر خُمبابا بدنو أجله، تضرع وطلب منهم أن يُبقوا على حياته، وقال أنه سيجعل جلجامش ملكًا للغابة وسيخدمه ويقطع له الأشجار، فأشفق عليه جلجامش وكاد أن يُبقي عليه، لكن إنكيدو أصر على قتله كي تترسخ سُمعة جلجامش، فلعنهما خُمبابا ، ألا يطول عمريهما، وألا يكون هناك أحد حين يموت إنكيدو سوى جلجامش، فيغرز جلجامش سيفه في عنق خُمبابا ، ويقتله جلجامش هو وأطفاله السبعة، ويقطع رأسه.

وقطع البطلين أشجار الأرز، منهم واحدة ضخمة ليجعل منها جلجامش بوابة لمعبد إنليل، وبنيا قاربًا سار بهما في نهر الفرات مع الشجرة الضخمة ورأس خُمبابا .

تفسيرات اللوح الخامس

* ومما تعجبت له استسلام خُمبابا ورغبته في الإبقاء على حياته ولو على حساب كرامته، ويتوسل لهم ألا يقتلاه وهو ذو الوصف المُفزع والفم الذي ينفث النيران، ظننته تنينًا ماردًا لن يهدأ حتى يقطعوا رأسه، مع ما له من سُلطة وهبها له إنليل الإله، ويبدو أن الملحمة تُريد أن تُعطينا انطباعًا أن إرادة البشر ستتغلب حتمًا على الآلهة الوثنية، أو أنه يُريد تغيير معاني العظمة والعطاء في المجتمع.

خُمبابا المارد ينفث النيران، ويُرى إنكيدو ذو قرنين وذيل كالحيوانات.

اللوح السادس

بعد الانتصار في غزوة غابة الأرز، اغتسل جلجامش وتطيب، وارتدى ثيابًا نظيفة، عباءة مُزركشة أحاطها بحزام، ووضع تاجه على رأسه، فرمقته عِشتار بإعجاب وقالت له:

« تعال يا جلجامش وكن عريسي
وهبني ثمرتك اتمتع بها
كن زوجي واكون زوجك
سأعد لك مركبة من حجر اللازورد والذهب
وعجلاتها من الذهب وقرونها من البرونز
وستربط لجرها « شياطين الصاعقة » بدلا من البغال الضخمة
وعندما تدخل بيتنا ستجد شذى الارز يعبق فيه
اذا دخلت بيتنا فستقبل قدميك العتبة والدكة
سينحني لك الملوك والحكام والامراء
وسيقدمون لك الاتاوة من نتاج الجبل والسهل
وسيحمل معزك « الثلاث » ونعاجك « التوائم »
وحمير الحمل عندك ستفوق البغال في الحمل
وسيكون لخيول مركباتك الصيت المعلى في السباق
وثورك لن يكون له مثيل وهو في نيره »

تُعدد له محاسن زواجه منها، فأجابها جلجامش:

« ولكن ماذا علي ان اعطيك ان تزوجتك
أتحتاجين الى السمن (الزيت) والكساء لجسدك ؟
وأي اكل وشراب تحتاجين اليه مما يليق بسمة الالوهية ؟

اي خير سأناله لو تزوجتك ؟
انت ! ما انت الا الموقد الذي تخمد ناره في البرد
انت كالباب الناقص لا يصد عاصفة ولا ريحا
انت قصر يتحطم في داخله الابطال
أنت فيل يمزق رحله
انت قير يلوث من يحمله وقربة تبلل حاملها
أنت حجر مرمر ينهار جداره
أنت حجر « يشب » يستقدم العدو ويغريه
وانت نعل يقرص قدم منتعله
اي من عشاقك من بقيت على حبه ابدا ؟
واي من رعاتك من رضيت عنه دائما ؟
تعالي اقص عليك (مآسي) عشاقك :

رفض جلجامش تطلعات الإلهة عِشتار، ومنها أنها تزوجت الإله تموز ثم أرسلته إلى العالم السفلي، أي أنها قتلته، وطير الراعي الذي كسرت جناحه فيصرخ في البساتين: جناحي، جناحي، وأوقعت

الأسد في سبع وسبع حفر، والحصان سلطت عليه السوط والمهماز والسير، وعلى أمه سليلي أن تواصل الندب والبكاء، وراعي القطيع الذي نحر لها جديًا كل يوم، ضربته ومسخته ذئبًا، وكان أخر من عشقتهم البستاني إشلنو، الذي أهداها التمر كل يوم، فدعته للزنا فرفض أن يأكل اللعنة والعار بعد خبز أمه، فضربته بعصاها حولته ومسخته ضفدعًا، أما جلجامش فلا يُريد مصيرًا كهؤلاء.

شعرت عشتار بالإهانة، فغضبت وعرجت إلى السماء تشتكي لأبيها آنو، قالت أن جلجامش أهانها وسبها وعيرها بشرورها، فقال لها أنها من تحرشت به ولذلك أهانها، فقالت له أن يخلق ثورًا سماويًا ليُهلك جلجامش، وإلا فإنها ستُحطم باب العالم السفلي وتجعل الموتى يقومون، فيأكلون الأحياء ويصبحون أكثر عددًا، فقال آنو أن الثور سيجلب سبع سنين عجاف لا حبوب ولا غلة ولا علف فيها، فقالت أنها قد خزنت كل هذا، فسلمها آنو مقود الثور السماوي، فنزل إلى أوروك ونشر الرعب والفزع، وسبب فيها دمارًا شنيعًا،

وأنقص منسوب المياه بنهر الفرات فجفت الحقول، وقضى على مئات البشر، وهجم على إنكيدو ففر منه، ثم أمسكه إنكيدو من ذيله، وطعنه جلجامش كقصاب –جزار– ماهر، بين مؤخرة رأسه وقرنيه، وبعدما قتلاه نزعا قلبه، وقدماه قربانًا لشمش، أما عشتار فارتقت أسوار أوروك وصرخت: الويل لجلجامش الذي دنسني وأهانني، وقتل ثور السماء، فقطع إنكيدو فخذ الثور وقذفه في وجهها وقال:

لو قبضت عليك لقتلتك مثله
ولربطت احشاءه باطرافك»

فبكت عشتار وأقامت المناحة على فخذ الثور السماوي، ولم تجد من يواسيها، ودعا جلجامش صناع السلاح فتعجبوا من كبر قرنيه، ثم اغتسل الصديقان وسارا راكبين في شوارع أوروك.

وصار جلجامش يخاطب وصيفات قصره ويردد :
من الامجد بين الرجال ؟
ومن الاقوى بين الابطال ؟
(فيجبنه) : جلجامش الامجد بين الرجال !
جلجامش الاشهر بين الابطال ! »

وفي الليل رأى إنكيدو حُلمًا، فقال لصديقه:

يا صاحبي لم اجتمع الآلهة العظام للشورى ؟

تفسيرات اللوح السادس

* جوجالانا هو اسم ثور السماء المرجح.

* هددت عشتار بتحطيم بوابات العالم السفلي وإطلاق الأموات الذين يتجاوز عددهم عدد الأحياء، وسيأكلونهم جميعًا، إذن جورج أر أر مارتن لم يكذب في لعبة العروش، الزومبي موجودون في العراق القديم منذ فجر التاريخ، وسيُقاتلهم البشر بالفؤوس والسيوف لا المُسدسات والرشاشات.

* يُلاحظ أن الآلهة –وبخاصة شمش- لم يُساعدا البطلين في هذه المعركة، وتفسير ذلك يأتي في اللوح السابع.

* تتأكد هنا فكرة أن جلجامش حيد عنفوانه الجنسي إلى حبه لإنكيدو حبًا أخويًا فائقًا، فهو يرفض عروض إلهة الجنس، وكل ما عرضته عليه من عطايا دنيوية، ويتسائل بكل صراحة: أي أكل

وشراب تحتاجين إليه مما يليق بسمة الألوهية عندك؟

* يُعتقَد أن تموز –وهو زوج عشتار الذي قتلته- ينزل إلى العالم السُفلي كل خريف ويعود إلى الحياة مع الربيع، ويروي بن النديم في الفهرسة عن شهر تموز، أن أهل حران –وهي مدينة في جنوب شرق تركيا حاليا، ويُذكر في العهد القديم أنها المدينة التي استقر فيها النبي إبراهيم عليه السلام بعد هجرته من أور، يعني أنها كانت تتبع بلاد ما بين النهرين القديمة في ذلك الوقت، وكان أهلها من الصابئة وقت حديث بن النديم عنهم- وفي منتصف الشهر، يأتي عليهم عيد النساء الباكيات، فيبكون الإله (تموز) الذي قتله ربه وطحن عظامه في الرحا وذراها في الريح، فلا تأكل النساء شيئًا مطحونًا في الرحا، وفي سفر حزقيال التوراتي: "فَجَاءَ بِي إِلَى مَدْخَلِ بَابِ بَيْتِ الرَّبِّ الَّذِي مِنْ جِهَةِ الشِّمَالِ، وَإِذَا هُنَاكَ نِسْوَةٌ جَالِسَاتٌ يَبْكِينَ عَلَى تَمُّوزَ." ٨:١٤، ونرى التشابه الشديد بين الأسطورة ونص العهد القديم وبين ما فعلته عشتار بزوجها.

* الشقراق، طائر يظهر أثناء مواسم اللقاح في العراق، وصوته قريب من اللفظ البابلي (كبي)، أي جناحي، وربما أوحى هذا الصوت لأدباء ذاك العصر بأسطورة الجناح المكسور للطائر الذي أحب عشتار فكسرت جناحه.

* يقول إيشولونو لعِشتار: "وهل تحمي عيدان القصب من الزمهرير؟" ويبدو أنه مثل بابلي قديم، وهو صحيح لأن عيدان القصب تترك فراغات فيما بينها فلن تمنع نفاذ البرد.

* يُقال أن كل الأديان القديمة بدأت عِشتارية، تُعظَم فيها المرأة عن الرجل، لأن المرأة أكثر إحساسًا بالماورائيات من الرجل، وهذا نلاحظه في حياتنا اليومية، هُناك الجدة التي تتحق أحلامها، وتعرف خبايا نفوس الأقربين، والأم التي تشعر بالمساوئ التي تحيق بأبنائها، وهناك النسوة اللاتي يقرأن الفنجان والطالع، هذه الجملة تدور في ذهني ولا استطيع الاتفاق معها على إطلاقها، فما أعرفه أن التوحيد

هو أصل الديانات، قبل أن يختلف الناس فيبعث الله لهم الأنبياء، ولابد من فرد مقال لهذه المقولة يوم ما في بحثي عن الحقيقة، وعلى الرغم من ذلك، فإن الرواية هنا تُظهر الرجل كالبطل المُنتصر، والأنثى مُمثلة في إنانا تتلقى الإهانات والهزائم، وكما قُلنا سابقًا أن الفترة التي كُتب فيها النص البابلي شهدت معركة تهدف إسقاط الدين العِشتاري لصالح الآلهة الذكورية.

* لما قرأت أن الراعي قد مُسخ إلى ذئب تذكرت المُستذئبين توًا.

اللوح السابع

رأى إنكيدو في حلمه، أن الآلهة، آنو وإنليل وأيا وشمش السماوي اجتمعوا يتشاورون.

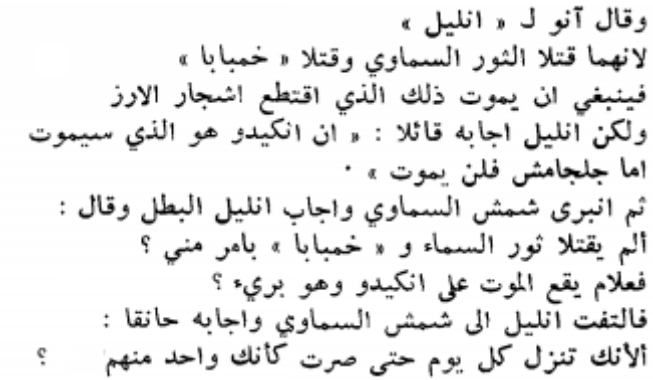
وقال آنو لـ « انليل »
لانهما قتلا الثور السماوي وقتلا « خمبابا »
فينبغي ان يموت ذلك الذي اقتطع اشجار الارز
ولكن انليل اجابه قائلا : « ان انكيدو هو الذي سيموت
اما جلجامش فلن يموت » .
ثم انبرى شمش السماوي واجاب انليل البطل وقال :
ألم يقتلا ثور السماء و « خمبابا » بامر مني ؟
فعلام يقع الموت على انكيدو وهو بريء ؟
فالتفت انليل الى شمش السماوي واجابه حانقا :
الأنك تنزل كل يوم حتى صرت كأنك واحد منهم ؟

صمت شمش ولم يُجب، وعرف إنكيدو أن العقاب قد وقع عليه، فرقد مريضًا.

بكى جلجامش لحال صديقه، وتعجب لماذا يبرؤنه ويُعاقبون صديقه، لعن إنكيدو باب غرفته الخشبي المصنوع من شجر الأرز، وقال أنه لو علم أن جماله سيجلب عليه ما جلب، لحطمه، ولعن

الصياد الذي رأه أول مرة، ولعن البغي شامهات لأنها انتزعته من الغابة، فسمعه الإله شمش، وذكره بأفضال البغي، وأنها أطعمته الخبز اللائق بالإلوهية وسقته الخمر اللائق بالملوكية، وكسته وعرفته على جلجامش الذي أعاشه حياة الترف وجعله ينام على فراش وثير، وقال أن جلجامش سيُعظمه بعد موته، وسيجعل أهل أوروك يبكونه، وسيرتدي جلد الأسد ويجوب الصحاري والبراري حزينًا لفراقه، فتراجع إنكيدو عن لعناته، وبدلها ببركات.

ورأى إنكيدو في منامه أن السماء ترعد والأرض تهتز، وظهر أماه مخلوق مخيف، له وجه (زو) طائر الصاعقة، ومخالب النسر، عراه من ملابسه وأمسك بخناقه حتى ذهبت أنفاسه، وأُسِر به إلى العالم الأخر، العالم السفلي.

لقد بدل هيئتي فصارت يداي مثل جناحي طائر مكسوتين بالريش
نظر الي وقادني الى دار الظلمة ، الى مسكن « اركلا »
الى الدار التي لا يرجع منها من دخلها
الى الطريق الذي لا رجعة لسالكه
الى الدار التي حرم ساكنوها من النور
حيث التراب طعامهم والطين قوتهم
وهم مكسوون كالطير باكسية من اجنحة الريش
ويعيشون في ظلام لا يرون نورا
وفي بيت التراب الذي دخلته
شاهدت الملوك والحكام ، فرأيت تيجانهم قد نزعت وكدست ،
أجل ! رأيت اولئك العظام الذين لبسوا التيجان وحكموا الارض في الازمان الخوالى
وكان النائبون عن « آنو » و « انليل » هم وحدهم الذين يقدم لهم اللحم والشواء
ويقدم لهم الخبز ويقرب اليهم الماء البارد من القرب
وفي بيت التراب الذي دخلت ، يسكن الكاهن الاعلى وخدام المعبد
ويعيش الراقي المعوذ ، والساحر
ويسكن الذين يقدمون زيت المسح للآلهة العظام
ويسكن « ايتانا » و « سموقان »
وتحكم « ايرش كيكال » ، ملكة العالم الاسفل
و « بعلة صيري » ، كاتبة العالم السفلى تسجد امامها
وبيدها رقيم تقرأ لها منه
ولما رفعت رأسها ابصرتني فقالت :
« من الذي اتى بهذا الرجل الى هنا ؟

إنها رؤيا تُنذر بالشر والموت، ولاثنا عشر يومًا، ساءت حالة إنكيدو، ولازم الفراش، وقال لجلجامش:

يا صاحبي لقد حلت بي اللعنة
فلن اموت ميتة رجل سقط في ميدان الوغى
كنت اخشى القتال
(ولكن) من يسقط في القتال يا صديقي فانه مبارك
أما انا فسأموت ذليلا حتف انفي

ومات إنكيدو، لم يُصدق جلجامش هذا، حتى رأى الدود يتساقط من أنف جثة إنكيدو.

تفسيرات اللوح السابع

* ربما لم يكن موت إنكيدو عقابًا من الآلهة، ربما أُصيب الرجل إصابة فادحة أدت لموته، و دليل ذلك أنه نازع الموت طويلًا، وأخذ يهذي ويتذكر ما قد مضى من حياته، ولم يُصدق جلجامش هذا لأن إنكيدو الرجل البطل، أُصيب كثيرًا في معاركه ولم يموت.

* ود إنكيدو وهو على فراش الموت لو بقى في البادية سعيدًا لا يحمل همًا، ثم يسترجع إنكيدو رشده ويفهم سبب حياته، فرغم أن حياته قصيرة إلا أنها تمتلئ بالعظمة والأثر الحسن واكتساب الحكمة، لقد مات إنكيدو غير جزع، بل تأسف أن يموت على فراشه لا وسط فعله لأمر عظيم كالقتال.

ونتذكر القول المنسوب لخالد بن الوليد وهو على فراش الموت: "ما بقى في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح، ثم

أموت على فراشي كما البعير، فلا نامت أعين الجبناء."

* كما قُلنا من قبل، فإن شمش قريب من البشر لظهور الشمس ليومي عليهم، فيظهر في الحلم مُدافعًا عن إنكيدو، ولهذا يتهمه إنليل بأنه أصبح واحدًا منهم.

* زو، أو أنزو طائر الصاعقة في أساطير العراق القديمة، رأه إنكيدو في رؤيته قبل لقاء خُمبابا ، في إشاره لانتصارهم عليه ورأه إنكيدو هُنا في إشارة لموته على يد شيطان الموت وانتقاله إلى العالم السُفلي.

* تشترك حضارات البشر القديمة وربما إلى الآن، بتصور أرواح الموتى ذوي أجنحة على هيئة الطيور، ولا يخص الأمر العراقيين القدماء فحسب.

* أركلا أو أيرشكيجال هي ملكة العالم السفلي، وايتانا هو الملك الثالث عشر من سلالة كيش الأولى التي حكمت أوروك بعد الطوفان، وتقول الأسطورة أنه ارتقى إلى السماء على ظهر نسر عجائبي.

* ربما كانت البوابة التي كلمها إنكيدو هي نفسها بوابة غابة الأرز السحرية التي شلت يده قبل أن يتغلب على خوفه، فربما اقتلع خشبها ولما عاد إلى أوروك صنعوا له منه بابًا لغرفته، ويُقال أن البوابة التي صنعها جلجامش من خشب الأرز هي بوابة عشتار الموجود الآن في برلين، وهي البوابة الثامنة لمدينة بابل، والمعروف تاريخيًا أن من صنعها هو نبوخذنصر الثاني عام ٥٧٥ ق.م تقريبًا.

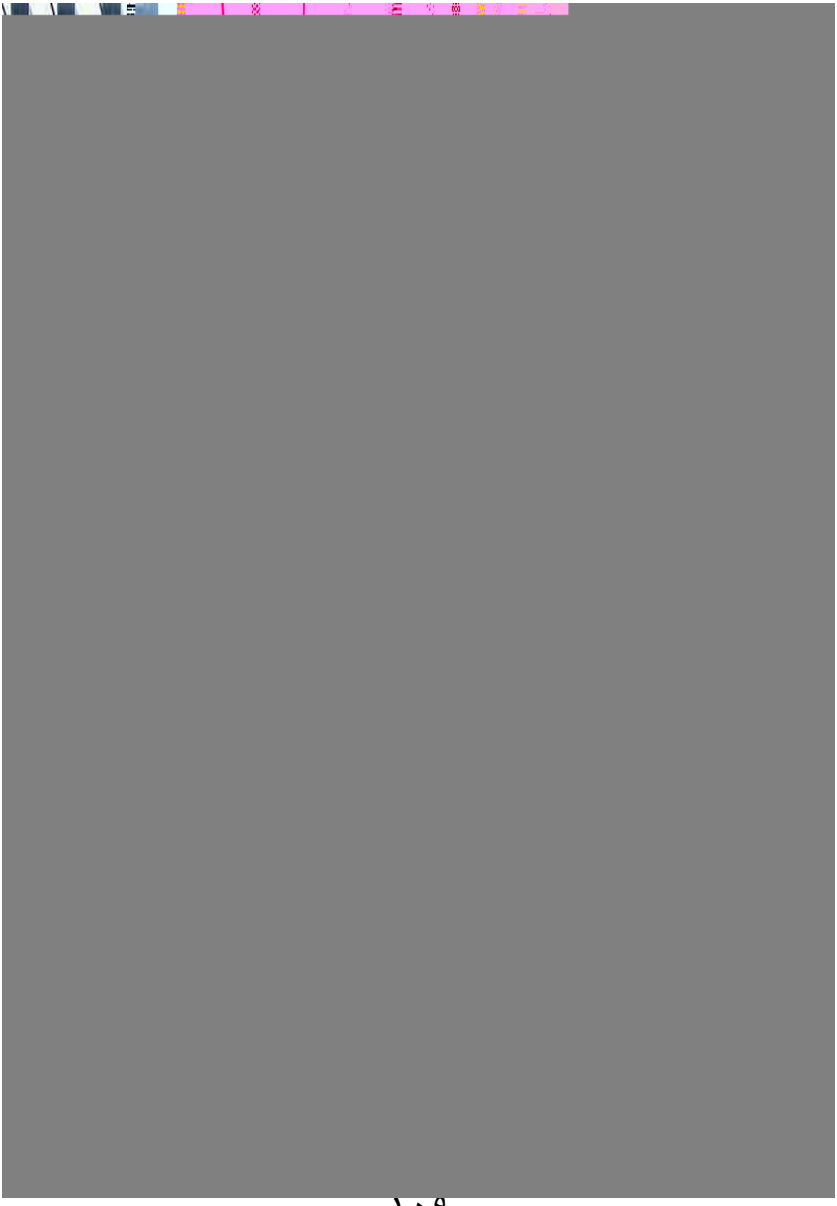

اللوح الثامن

قال جلجامش يندب صديقه:

« يا انكيدو ان امك ظبية وابوك حمار الوحش ، وقد ربيت على رضاع لبن الحمر الوحشـــــية
لتندبك المسالك التي سلكتها في غابة الارز
وعسى الا يبطل النواح عليك ليل نهار
وليبكك شيوخ « اوروك » ، ذات الاسواق
وليبكك الاصبع الذي اشار الينا من ورائنا وباركنا
فيرجع صدى البكاء في الارياف
وليندبك الدب والضبع والفهد والنمر والايل والسبع
والعجول والظباء وكل حيوان البرية
ليندبك نهر « اولا» الذي مشينا على ضفافه
وليبكك الفرات الطاهر الذي كنا نسقي منه
لينح عليك رجال « اوروك » ، ذات الاسوار
ولينح عليك من اطعمك بالغلة
ومن مسح ظهرك بالزيت المعطر ومن سقاك الجعة
ولتبكك الزوجة التي اخترتها
وليبك عليك الاخوة والاخوات

اصيخوا الي ايها الشيوخ واسمعوا قولي :

[redacted]

لكن إنكيدو لم يرد، ظل مطبق العينين وقلبه لا ينبض، زأر جلجامش كالأسد، وكاللبؤة التي اُختطف منها أطفالها، ونتف شعره المُضفر وخلع ثيابه الجميلة كأنها نجاسة، وصنع لإنكيدو تمثالًا، ووضع إلى جواره الهدايا ليُحسنوا استقباله في العالم السفلي، ووضعوه في سرير يحترق وسط النهر، كما يُقال في القصيدة السومرية (موت جلجامش): لُعن النهر، ثم قال جلجامش:

« على فراش المجد اضجعتك
واجلستك على كرسي الراحة الى يساري
كيما يقبل امراء الارض قدميك
ساجعل اهل « اوروك » يبكون عليك ويندبونك
وسيحزن عليك اهل الفرح والموسرون وساجعلهم يقربون اليك •
وأنا نفسي بعد ان توسد في الثرى ساطلق شعري
وسألبس جلد الاسد وأهيم على وجهي في البراري

اللوح التاسع

جاب جلجامش البرية وهو يرتدي جلود الحيوانات، ينعي إنكيدو، خائفًا أن يموت هو أيضًا، فقرر أن يلتقي جده البعيد، أوتو-نبشتم، ابن (أوبارا-توتو)، ليعرف أسرار الحياة الأبدية، أوتو-نبشتم واحد ممن نجوا من الطوفان العظيم هو وزوجته، وقد منحتهما الآلهة الخلود.

عبر الجبال ورأى عندها أسودًا فخاف منها، ولما نام رأى حُلمًا فيه الأسود تلعب مُنتشية بالحياة، فقام وقتلهم بفأسه، ثم وصل لجبل عظيم اسمه ماشو، الجبل الذي عند نهاية الأرض، ويحرس مشرق الشمس ومغربها، وقواعده بالأسفل عند العالم السفلي، ويحرس بوابته البشر العقارب، نظراتهم الموت، وكانا زوجين، فسأله الزوج ما الذي جاء به إلى هنا، فقال جلجامش أنه أتى قاصدًا سلفه أوتو-نبشتم الذي دخل مجمع الآلهة، ليسأله عن سر الحياة و لغز الموت،

فقال الرجل العقرب أن بشريًا قط لم يعبر مسالك الجبال، حيث الظلام الحالك لمسافة اثنتي عشرة ساعة مُضاعفة، ولا نور على الإطلاق، فلما أصر جلجامش على الذهاب سمح له الرجل العقرب بالعبور، وانتهى الممر الطويل المُظلم بظهور بشائر نور شمش، عند حديقة غناء، بها أشجار تحمل أحجارًا كريمة، وأشجار ثمارها العقيق والأعناب.

جلجامش مُرتديًا جلود الأسود.

تفسيرات اللوح التاسع

* أمر جلجامش عجيب، فقد قال لإنكيدو قبل قتال خُمبابا :

الآلهة وحدهم، هم الخالدون في مرتع الشمس
أما البشر فأيامهم معدودة على هذه الأرض

وعلى الرغم من ذلك فإنه الآن يُنكر موت إنكيدو، ويسعى للخلود كإله، يتشبث بالأمل حتى أخر رمق، وهناك كلمة أقولها كثيرًا هذه الأيام: لن استسلم. وهو عين ما فعله جلجامش قبلي بأربعة ألاف عام، فخلد ذكره عبر العصور، فحقيقة أن جلجامش انهار لوفاة إنكيدو، وشعوره أن لا مغزى للحياة طالما هُناك موت، تجعلنا نفكر في حقيقة رحلته الباحثة عن الخلود، الرجل يُريد لحياته معنى، ولا يُريد حياة محكوم عليها سلفًا بالنهاية والهزيمة.

* يُذكر اسم الناجي البابلي من الطوفان العظيم أوتو-نبشتم لأول مرة في متن الملحمة، ومعنى اسمه (ذلك الذي رأى الحياة)، وفي

القصائد السومرية سُمي ب(زيسودا)، حكيم شروباك وكاهنها، أما في النص البابلي فاسمه كان أترا هاسيس، ومعناه: المُتناهي في الحكمة.

* يُفسر فراس السواح حُلم الأسود الذي رأه جلجامش، ويقول أن فكرة الموت التي تلبست جلجامش لم تتقبل فكرة لهو الأسود وحبهم للحياة، ولهذا أعمل فيهم القتل، فكيف ينعمون بالهناء و ينعم هو؟

* كلمة ماشو بالأكدية تعني التوأمين، وربما كانا جبلين، أو هو جبل واحد ذو قمتين.

* تُشبه الحديقة في الملحمة حديقة أخرى تظهر في قصص أبو محمد الكسلان في ألف ليلة وليلة، حيث بُستان فيه أشجار من الذهب وثمارها من الجواهر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ والمرجان، إنها حديقة الآلهة، جنة عدن، أحمدك يا رب.

*يتجلى الاختلاف بين ترجمتي طه باقر وفراس السواح في هذا

المشهد، حين يعبر جلجامش الممر المُظلم السفلي الذي تقطعه الشمس من مغربها إلى مشرقها، في طريقه إلى أوتو-نبشتم.

ترجمة طه باقر

دخل باب الشمس وسار في طريقها وقطع ساعة مضاعفة
فكان الظلام دامساً ولا يوجد نور
ولم يستطع أن يرى ما أمامه ولا ما خلفه
وسار ساعتين مضاعفتين ثم أربع ساعات مضاعفة
ولم يزل الظلام حالكاً ولا نور هناك
فلم يرى ما أمامه وما خلفه
وسار خمس ساعات مضاعفة وست ساعات مضاعفة
وسبع ساعات مضاعفة وثماني ساعات مضاعفة
ولم يزل الظلام دامساً ولا نور يمكنه أن يبصر
ما أمامه وما خلفه
وبعد أن قطع تسع ساعات مضاعفة أحس
ريح الشمال تلطم وجهه
ولكن الظلام لم يزل دامساً فلم يستطع أن يرى
ما أمامه وما خلفه

وسأترك للقارئ الحُكم على الترجمتين، وإن كنت شخصيًا قد فضلت ترجمة طه باقر، فعشت بسببها مع جلجامش مسيرته بصورة أفضل، رغم ادعاء طه باقر ترجمته الحرفية واستبعاده للسطور المخرومة، والتزامه الشديد بترتيب السطور وإن صعبت على الفهم.

وأنظر أيضًا إلى بعض الترجمات المشهورة لمطلع الملحمة الشعرية، نقلًا عن فراس السواح.

* هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يا بلادي
وهو الذي خبر جميع الأشياء وأفاد من عبرها

طه باقر

* هو الذي رأى كل شيء الى نهاية الأرض
الذي خبر كل الأشياء وتملاها

سبيسر

* هو الذي رأى الكل عبر مسافات البلاد
الذي عرف البحار، خبر كل الأشياء

جاكوبسن

* هو الذي رأى الأعماق، سأخبر عنه البلاد
عن الذي عرف الكل، دعوني أخبر

غاردنر

* عن الذي رأى كل شيء الى أقاصي العالم
عن الذي عرف البحر وخبر كل الجبال

دياكونوف

* هو الذي رأى كل شيء الى تخوم الدنيا
هو الذي عرف كل شيء، وتضلع بكل شيء

ترجمتي عن «هيديل»

* هو الذي رأى كل شيء وخبر البلاد
الذي عرف الأرض كلها ليسلمه

سامي سعيد الأحمد

اللوح العاشر

قابل جلجامش سيدوري، فتاة حان الآلهة عند ساحل البحر ونهاية العالم، فخافت من لباسه الجلدي ووجهه الأشعث، وخافت أن يُريد قتلها، فأوصدت بابها وأحكمت غلقه بالمزلاج، فأخبرها جلجامش أنه من قتل خُمبابا والثور الذي نزل من السماء، فسألته لما ذبلت وجنتاه وملك الحزن قلبه وتبدلت هيئته، ولما يهيم في البراري إن كان البطل الذي يدعي، فقال:

فأعطته سدوري موعظة عن الموت والحياة، وقالت له:

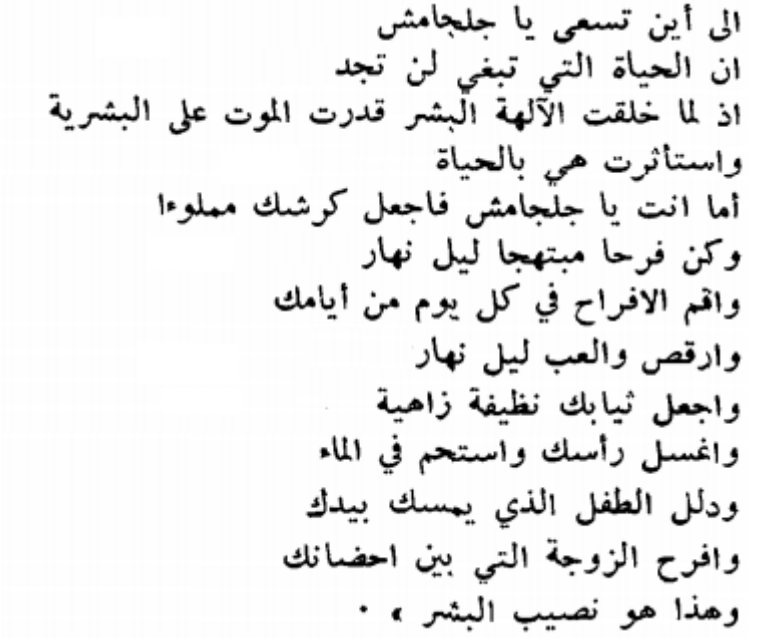
الى أين تسعى يا جلجامش
ان الحياة التي تبغي لن تجد
اذ لما خلقت الآلهة البشر قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة
أما انت يا جلجامش فاجعل كرشك مملوءا
وكن فرحا مبتهجا ليل نهار
واقم الافراح في كل يوم من أيامك
وارقص والعب ليل نهار
واجعل ثيابك نظيفة زاهية
واغسل رأسك واستحم في الماء
ودلل الطفل الذي يمسك بيدك
وافرح الزوجة التي بين احضانك
وهذا هو نصيب البشر » .

أصر جلجامش على المُضي إلى أوتو-نبشتم، فقالت له أن شمش وحده يقدر على عبور مياه الموت، وأرشدته إلى أورشنابي ملاح أوتو-نبشتم، وعنده صور الحجر السحرية التي تُساعده في عبور مياه الموت إلى سيده أوتو-نبشتم القاصي، فوجده في الغابة يحتطب، وفي ثورة اندفاعه وانفعاله حطم هذه الصور السحرية، فغضب

أورشنابي، إذ لا يُمكنهما العبور بدون الصور، فأمره أن يقتطع ١٢٠ مرديًا –أعمدة تجديف– طول كل منها ستين ذراعًا، ثم يطلها بالقار ويُغلف كعوبها بالمعدن، فانطلق جلجامش لتنفيذ المُراد.

ركبا السفينة، وفي اليوم الثالث من السفر قطعا ما يُعادل شهرًا وخمسة عشر يومًا من السفر العادي، وبلغا مياه الموت، وهناك سيُجدفان بالمائة وعشرين مرديًا، وكانا يُجدفان بالمِجداف الواحد مرة واحدة، مخافة أن يلمسا الماء، ولما استنفذا كل المرادي نزع جلجامش ثيابه ونشر الشراع بيده، ثم رأوا أوتو–نبشتم، الذي تسائل كيف كُسرت صور حجر السفينة، ومن الرجل الغريب مع أورشنابي، فعرفه جلجامش على نفسه، فقال أوتو–نبشتم:

« ان الموت قاس لا يرحم
متى بنينا بيتا يقوم الى الابد ؟
متى ختمنا عقدا يدوم الى الابد ؟
وهل يقتسم الاخوة ميراثهم ليبقى الى آخر الدهر ؟
وهل تبقى البغضاء في الارض الى الابد ؟
وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام ؟
والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل اجلها
ولم يكن دوام وخلود منذ القدم
وياما اعظم الشبه بين النائم والميت !
الا تبدو عليهما هيئة الموت ؟
ومن ذا الذي يستطيع ان يميز بين العبد والسيد اذا جاء اجلهما ؟
ان « الانوناكي » ، الآلهة العظام تجتمع مسبقا
ومعهم « مامتم » ، صانعة الاقدار تقدر معهم المصائر ·
قسموا الحياة والموت
ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه »

تفسيرات اللوح العاشر

* المادة ١٠٩ في شريعة حامورابي تفرض عقوبات قاسية على صاحبات الحانات إذا أَوين قطاع الطرق ولم يُبلِغن عنهم.

* الاقتباس الأعظم في نص الملحمة:

"إن الحياة التي تبغي لن تجد، إذ لما خلقت الآلهة البشر قدرت الموت على البشرية، واستأثرت هي بالحياة."

وقد ترجمتها عن الإنجليزية بالطريقة الأتية:

"الحياة، التي تبحث عنها، لن تجدها، لأن الآلهة حين خلقوا الإنسان، جعلوا الموت من نصيبه، وحياته محمولة بين أيديهم."

* المرادي هنا أعمدة تجديف، وطولها يدل أن الماء تحتهما ستكون عميقة.

* الأنوناكي هم مجموعة الآلهة، وخاصة قضاة وآلهة العالم الأسفل، ولنا معهم وقفة بعد أن ننتهي من سرد أحداث الملحمة.

* مامتم أو مامي توم هي أرورو، إلهة الخلق، خالقة إنكيدو.

* في سفر الجامعة التوراتي نجد:

"لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون شيئا، وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نسي.

ومحبتهم وبغضتهم وحسدهم هلكت منذ زمان، ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد، في كل ما عمل تحت الشمس.

اذهب كل خبزك بفرح، واشرب خمرك بقلب طيب، لأن الله منذ زمان قد رضي عملك.

لتكن ثيابك في كل حين بيضاء، ولا يعوز رأسك الدهن.

التذ عيشًا مع المرأة التي أحببتها كل أيام حياة باطلك التي أعطاك إياها تحت الشمس، كل أيام باطلك، لأن ذلك نصيبك في الحياة وفي تعبك الذي تتعبه تحت الشمس."

الإصحاح التاسع: ٥، ٦، ٧، ٨، ٩.

خطاب صاحبة الحانة لجلجامش

تخبره عن عبث نشدانه الحياة الخالدة .

أوتو-نبشتم الناجي من الطوفان.

اللوح الحادي عشر

سأله جلجامش كيف حصل على الخلود، لقد حسبه كاملًا مثل الأبطال، لكنه يُشبه جلجامش، خاملًا مُضطجعًا على ظهره، فقال أوتو-نبشتم أنه سيُطلعه على سر من أسرار الآلهة، منذ زمن بعيد، وفي مدينة شروباك على شاطئ الفرات، كان الآلهة يحكمون منها وقد تقادم العهد عليها، فرأوا أن يُحدثوا طوفانًا!

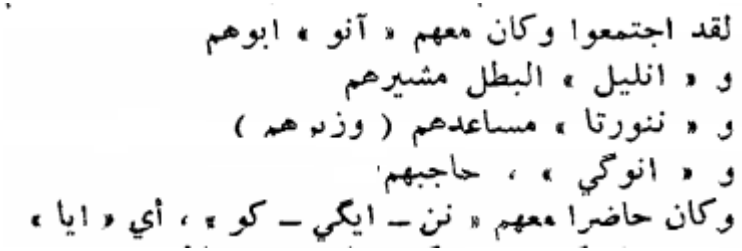
لقد اجتمعوا وكان معهم « آنو » ابوهم
و « انليل » البطل مشيرهم
و « ننورتا » مساعدهم (وزيرهم)
و « انوكي » ، حاجبهم
وكان حاضرا معهم « نن ـ ايكي ـ كو » ، أي « ايا »

فجاء أيا إله المياه –وهو إنكي- إلى كوخ القصب الذي يسكن فيه أوتو-نبشتم، وتحدث لكوخ القصب كي لا تتهمه الآلهة بإفشاء أسرارهم لبشري، أن يصنع فُلكًا –سفينة- وأن ينجو بنفسه ويترك ماله، ويحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة، فلما سأله أوتو-نبشتم

ماذا سيقول للناس، فأمره أن يقول أنه لن يعيش في مدينة إنليل الذي يبغض أوتو-نبشتم، سيرحل إلى ابسو حيث أيا ربه، وعلى ساكني شروباك سينزل وابل غزير من المطر، وعلمه أيا صُنعها وأبعادها، وبعد أن جهزها أوتو-نبشتم وأقام هيكلها وقسمها إلى طوابق، حمل فيها كل ما يملك من ذهب ومخلوقات حية وجميع أهله وأقاربه وأصحاب الحرف، وفي الموعد المعين أنزل الموكل بالعاصفة مطر الهلاك، فأغلق أوتو-نبشتم باب السفينة، ورأى في السماء غمامة سوداء يرعد فيها إله الرعد والزوابع أدد، ورفع الأنوناكي المشاعل ليُضيئوا الأرض، لكن الرعد حول النور إلى ظُلمة، وتحطمت الأرض، وغمرت المياه الجبال، حتى الآلهة ذُعروا وفروا إلى سماء آنو السابعة، وبكت عشتار –وكانت وقتها إلهة ذات قوة وهيب- والأنوناكي، إذ قتلوا كل البشر وعادوا إلى الطين، واستمر الأمر ستة أيام وسبع ليال، ثم استقرت السفينة على جبل نصير.

ثم أطلق أوتو-نبشتم سراح حمامة فطارت ثم عادت، وسنونو فطار

ثم عاد، ثم غراب فطار ولم يعدُ، وعندها فتح السفينة وخرج الجميع، وقدم قربانًا للآلهة فتجمعوا عليه كالذباب، وجاء إنليل غاضبًا من أيا، لأنه كان من المُقدر ألا ينجو بشري من الهلاك، لكن أيا طيب خاطره وقال:

أيها البطل انت احكم الآلهة
فكيف ، كيف احدثت عباب الطوفان بدون ان تتروى ؟
حمل صاحب الخطيئة وزر خطيئته
وحمل المعتدي اثم اعتدائه
ولكن كن رحيما في العقاب لئلا يهلك ولا تهمله فيمعن في الشر
ولو أنك بدلا من احدائك الطوفان سلطت السباع على الناس فقللت من عددهم
ولو أنك بدلا من احدائك الطوفان سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس
وبدلا من الطوفان لو انك احدثت القحط في البلاد
وبدلا من الطوفان لو ان « ايرا » (اله الطاعون) فتك بالناس
اما انا فلم افش سر الآلهة العظام
ولكنني جعلت « اترا ـ حاسس » يرى رؤيا فادرك سر الالهة
والآن قرر مصيره »

فقرر إنليل منح الخلود لأوتو-نبشتم وزوجته، يصبحان مثل الآلهة بعد أن كانا بشريين، وأخذهما إلى فم الأنهار.

تحدى أوتو-نبشتم جلجاميش أن يبقى مُستيقظًا لستة أيام وسبع ليال، فسقط جلجامش نائمًا، لأنه بشر وقد تعب، فأمر أوتو-نبشتم

زوجته أن تخبز رغيفًا كل يوم يبقى فيه جلجامش نائمًا، وتؤشر على الجدار بعدد الأيام التي ينامها، حتى لا يُنكر فشله حين يستيقظ، فيبست الأرغفة، ولما كان الرغيف السابع على الجمر استيقظ جلجامش، لم يستطع جلجامش هزم النوم، فلن يستطع هزم الموت.

كاد جلجامش أن يعود أدراجه خائبًا، هو وأورشنابي الذي طرده أوتو-نبشتم لإحضاره جلجامش، لكن زوجة أوتو-نبشتم حثت زوجها على إعطاءه فرصة ثانية، أخبره أوتو-نبشتم بسر إلهي أخر، هُناك نبتة شوكية في قاع البحر يُمكنها أن تُعيد الشباب مرة أخرى.

ربط جلجامش صخورًا في قدميه، كي يستطيع المشي في المياه العميقة، وحصل على النبتة، وقرر أن يختبرها أولًا على عجائز أوروك، فيعود الشيخ إلى صباه، وقرر أن يأكلها في أخر أيامه ليعود إلى شبابه، ثم وجد بركة ماؤها بارد، فنزل فيها ليغتسل، فجاءت أفعى وأكلت النبتة، وتغير جلدها لهذا الفعل، بكى جلجامش لضياع

مجهوداته سُدى، ثم وصلا إلى أوروك ذات الأسوار بعد رحلة عودة طويلة، وعرف جلجامش أن لا طريق نحو الحياة الأبدية، سوى ما تفعله الأيدي من إنجازات، كالسور العظيم الذي بناه، وتنتهي الملحمة بنفس ما بدأت به من وصف لأوروك.

فقال جلجامش لـ اور ـ شنابي الملاح : اعل يا اور ـ شنابي
وتمش فوق اسوار « اوروك »
وافحص قواعد اسوارها وانظر الى آجربنائها وتيقن اليس من الآجر المفخور (المشوى)
وهلا وضع الحكماء السبعة اسسها ؟
ان « شارا » واحدا خصص للسكنى (في المدينة) وشارا واحدا لبساتين النخيل وشارا واحدا لسهل الارواء بالاضافة الى حارة معبد عشتار
فتتضمن اوروك ثلاثة « شارات » والحارة

تفسيرات اللوح الحادي عشر

* شروباك مدينة تبعد عن الوركاء نحو ١٨ ميلًا إلى الشمال الغربي، وتُعرف الآن باسم فارة، وهي مدينة سومرية ذُكرت في إثبات الملوك السومريين قبل الطوفان.

* تتشابه حكاية الطوفان في الملحمة مع حكاية سفر التكوين والقرآن الكريم في العديد من النقاط، أُريد منكم طول نفس، فسأفرد بعض الصفحات لنص الملحمة، ثم النص التوراتي، ثم النص القرآني.

أولًا، مقاطع من ملحمة جلجامش، ترجمة طه باقر:

فرأى الآلهة العظام ان يحدثوا طوفانا ، قد زينت لهم قلوبهم ذلك
قوض البيت وابن لك فلكا(١١) (سفينة)

تخل عن مالك وانج بنفسك
انبذ الملك وخلص حياتك
واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة(١٢)

مثل طولها(١٣) ليكن عرضها
لا اياها مثل «مياه» العميق واختمها غطاء

وفي اليوم الخامس اقمت هيكلها (بنيتها)(١٧)
وكان سطح ارضها « ايكو »(١٨) واحدا وعلو جدرانها مائة وعشرين ذراعا(١٨)
وطول كل جانب من جوانب سطحها الاربعة مائة وعشرين ذراعا(١٨)
عينت شكلها الخارجي هكذا وبنيته
وجعلت فيها ستة طوابق (تحتانية)(١٩)
وبهذا قسمتها الى سبعة اقسام (طوابق)
وقسمت ارضيتها الى تسعة اقسام(٢٠)
وحشوتها وغرزت فيها « اوتاد الماء »(٢١)
ووضعت فيها « المرادي » وجهزتها بالمؤن
لقد سكبت ستة شارات من القير في الكورة(٢٢)

ثم) ذبحت البقر وطبختها للناس(٢٣)
ونحرت الاغنام في كل يوم

ثم حملت فيها كل ما املك
كل ما كان عندي من فضة حملته فيها
وحملت فيها كل ما املك من ذهب
وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية(٢٤)
اركبت في السفينة جميع اهلي وذوي قربای
واركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر وجميع الصناع(٢٥)

« واحسرتاه لقد عادت الايام القديمة الى طين[٣٤]
لانني انا نطقت بالشر في مجمع الآلهة
فكيف نطقت بالشر في مجمع الآلهة ؟
لقد سلطت الدمار على خلقي[٣٥]
وأنا التي ولدت خلقي هؤلاء
لقد ملأوا اليم كصغار السمك »
وبكى آلهة الانوناكي وهم منكسو الرؤس
وندبوا وقد يبست شفاههم
ومضت ستة أيام وسبع ليال
ولم تزل الزوابع تعصف وقد غطى عباب الطوفان الارض
ولما حل اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفان في شدة وقعها
وقد كانت كالجيش في الحرب العوان
وهدأ اليم وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان[٣٦]
وتطلعت الى الجو ، فرأيت السكون عاما
فتحت كوة فسقط النور على وجهي[٣٧]
ورأيت البشر وقد عادوا جميعا الى طين
فركعت وجلست ابكي فانهمرت الدموع على وجهي
وتطلعت الى حدود (معالم) سواحل اليم
فرأيت رقاع الارض العالية تظهر من مسافة اربع عشرة ساعة مضاعفة
واستقر الفلك على جبل « نصير »[٣٨]

ولما اتى اليوم السابع اخرجت حمامة واطلقتها (تطير)
طارت الحمامة ثم عادت.(٣٩)
رجعت لانها لم تجد موضعا تحط فيه
واخرجت السنونو واطلقته
ذهب السنونو وعاد لانه لم يجد موضعا يحط فيه
ثم اخرجت غرابا واطلقته(٤٠)
فذهب الغراب ولما رأى المياه قد انحسرت
أكل وحام وحط ولم يعد
وعند ذلك اطلقت كل شيء الى الجهات الاربع وقربت قربانا
وسكبت الماء المقدس على قمة (زقورة) الجبل(٤١)
ونصبت سبعة وسبعة قدور للقربان
وكدست تحتها القصب الحلو(٤٢) وخشب الارز والآس
فتنسم الآلهة عرفها (شذاها)(٤٣)
أجل تشمم الآلهة عرفها الطيب

فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب
ولما حضرت الالهة العظيمة (عشتار)
رفعت عقد الجواهر الذي صنعه لها « آنو » وفق هواها وقالت :
« أيها الآلهة الحاضرون كما انني لن انسى عقد اللازورد هذا الذي على جيدي
ساتذكر هذه الايام ولن انساها(٤٤)

ثانيًا، نص سفر التكوين الذي يتحدث عن الطوفان العظيم في عهد نبي الله نوح عليه السلام، الإصحاحات السادس والسابع والثامن:

١٣ فقالَ اللهُ لنوحٍ: «نِهايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قد أتَتْ أمامي، لأنَّ الأرضَ امتَلأتْ ظُلمًا مِنهُمْ. فها أنا مُهلِكُهُمْ مع الأرضِ. ١٤ اِصنَعْ لنَفسِكَ فُلكًا مِنْ خَشَبِ جُفرٍ. تجعَلُ الفُلكَ مَساكِنَ، وتطليهِ مِنْ داخِلٍ ومِنْ خارِجٍ بالقارِ. ١٥ وهكذا تصنَعُهُ: ثَلاثَ مِئَةِ ذِراعٍ يكونُ طولُ الفُلكِ، وخَمسينَ ذِراعًا عَرضُهُ، وثَلاثينَ ذِراعًا ارتِفاعُهُ. ١٦ وتصنَعُ كوًّا للفُلكِ، وتُكَمِّلُهُ إلَى حَدِّ ذِراعٍ مِنْ فوقُ. وتضَعُ بابَ الفُلكِ في جانِبِهِ. مَساكِنَ سُفليَّةً ومُتَوَسِّطَةً وعُلويَّةً تجعَلُهُ. ١٧ فها أنا آتٍ بطوفانِ الماءِ علَى الأرضِ لأُهلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فيهِ روحُ حياةٍ مِنْ تحتِ السماءِ. كُلُّ ما في

٧

[١]وقالَ الرَّبُّ لنوحٍ: «ادخُلْ أنتَ وجميعُ بَيتِكَ إلَى الفُلكِ، لأنِّي إيّاكَ رأيتُ بارًّا لَدَيَّ في هذا الجيلِ. [٢]مِنْ جميعِ البَهائمِ الطّاهِرَةِ تأخُذُ معكَ سبعَةً سبعَةً ذَكَرًا وأُنثَى. ومِنَ البَهائمِ التي ليستْ بطاهِرَةٍ اثنَينِ: ذَكَرًا وأُنثَى. [٣]ومِنْ طُيورِ السماءِ أيضًا سبعَةً سبعَةً: ذَكَرًا وأُنثَى. لاستِبقاءِ نَسلٍ علَى وجهِ كُلِّ الأرضِ. [٤]لأنِّي بَعدَ سبعَةِ أيّامٍ أيضًا أُمطِرُ علَى الأرضِ أربَعينَ يومًا وأربَعينَ ليلَةً. وأمحو عن وجهِ الأرضِ كُلَّ قائمٍ عَمِلتُهُ». [٥]ففَعَلَ نوحٌ حَسَبَ كُلِّ ما أمَرَهُ بهِ الرَّبُّ.

[٦]ولَمّا كانَ نوحٌ ابنَ سِتِّ مِئَةِ سنَةٍ صارَ طوفانُ الماءِ علَى الأرضِ، [٧]فدَخَلَ نوحٌ وبَنوهُ وامرأتُهُ ونِساءُ بَنيهِ معهُ إلَى الفُلكِ مِنْ وجهِ مياهِ الطّوفانِ. [٨]ومِنَ البَهائمِ الطّاهِرَةِ والبَهائمِ التي ليستْ بطاهِرَةٍ، ومِنَ الطُّيورِ وكُلِّ ما يَدِبُّ علَى الأرضِ: [٩]دَخَلَ اثنانِ اثنانِ إلَى نوحٍ إلَى الفُلكِ، ذَكَرًا وأُنثَى، كما أمَرَ اللهُ نوحًا.

[10]وحَدَثَ بَعدَ السَّبعَةِ الأيّامِ أنَّ مياهَ الطّوفانِ صارَتْ علَى الأرضِ. [11] في سنَةٍ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حياةِ نوحٍ، في الشَّهرِ الثّانِي، في اليومِ السّابعَ عشَرَ مِنَ الشَّهرِ في ذلكَ اليومِ، انفَجَرَتْ كُلُّ يَنابيعِ الغَمرِ العظيمِ، وانفَتَحَتْ طاقاتُ السماءِ. [12]وكانَ المَطَرُ علَى الأرضِ أربَعينَ يومًا وأربَعينَ ليلَةً. [13] في ذلكَ اليومِ عَينِهِ دَخَلَ نوحٌ، وسامٌ وحامٌ ويافَثُ بَنو نوحٍ، وامرأةُ نوحٍ، وثَلاثُ نِساءِ بَنيهِ معهُمْ إلَى الفُلكِ. [14]هُمْ وكُلُّ الوُحوشِ كأجناسِها، وكُلُّ البَهائمِ كأجناسِها، وكُلُّ الدَّبّاباتِ التي تدِبُّ علَى الأرضِ كأجناسِها، وكُلُّ الطُّيورِ كأجناسِها: كُلُّ عُصفورٍ، كُلُّ ذي جَناحٍ. [15]ودَخَلَتْ إلَى نوحٍ إلَى الفُلكِ، اثنَينِ اثنَينِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فيهِ روحُ حياةٍ. [16]والدّاخِلاتُ دَخَلَتْ ذَكَرًا وأُنثَى، مِنْ كُلِّ ذي جَسَدٍ، كما أمَرَهُ اللهُ. وأغلَقَ الرَّبُّ علَيهِ.

[١٧]وكانَ الطّوفانُ أربَعينَ يومًا علَى الأرضِ. وتكاثَرَتِ المياهُ ورَفَعَتِ الفُلكَ، فارتَفَعَ عن الأرضِ. [١٨]وتعاظَمَتِ المياهُ وتكاثَرَتْ جِدًّا علَى الأرضِ، فكانَ الفُلكُ يَسيرُ علَى وجهِ المياهِ. [١٩]وتعاظَمَتِ المياهُ كثيرًا جِدًّا علَى الأرضِ، فتغَطَّتْ جميعُ الجِبالِ الشّامِخَةِ التي تحتَ كُلِّ السماءِ. [٢٠]خَمسَ عشَرَةَ ذِراعًا في الِارتِفاعِ تعاظَمَتِ المياهُ، فتغَطَّتِ الجِبالُ. [٢١]فماتَ كُلُّ ذي جَسَدٍ كانَ يَدِبُّ علَى الأرضِ مِنَ الطُّيورِ والبَهائمِ والوُحوشِ، وكُلُّ الزَّحّافاتِ التي كانَتْ تزحَفُ علَى الأرضِ، وجميعُ الناسِ. [٢٢]كُلُّ ما في أنفِهِ نَسَمَةُ روحِ حياةٍ مِنْ كُلِّ ما في اليابِسَةِ ماتَ. [٢٣]فمَحا اللهُ كُلَّ قائمٍ كانَ علَى وجهِ الأرضِ: الناسَ، والبَهائمَ، والدَّبّاباتِ، وطُيورَ السماءِ. فانمَحَتْ مِنَ الأرضِ. وتبَقَّى نوحٌ والذينَ معهُ في الفُلكِ فقط. [٢٤]وتعاظَمَتِ المياهُ علَى الأرضِ مِئَةً وخَمسينَ يومًا.

٨

[١]ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نوحًا وكُلَّ الوُحوشِ وكُلَّ البَهائمِ التي معهُ في الفُلكِ. وأجازَ اللهُ ريحًا علَى الأرض فهَدأتِ المياهُ. [٢]وانسَدَّتْ يَنابيعُ الغَمرِ وطاقاتُ السماءِ، فامتَنَعَ المَطَرُ مِنَ السماءِ. [٣]ورَجَعَتِ المياهُ عن الأرضِ رُجوعًا مُتَواليًا. وبَعدَ مِئَةٍ وخَمسينَ يومًا نَقَصَتِ المياهُ، [٤]واستَقَرَّ الفُلكُ في الشَّهرِ السّابعِ، في اليومِ السّابعَ عشَرَ مِنَ الشَّهرِ، علَى جِبالِ أراراطَ. [٥]وكانَتِ المياهُ تنقُصُ نَقصًا مُتَواليًا إلَى الشَّهرِ العاشِرِ. وفي العاشِرِ في أوَّلِ الشَّهرِ، ظَهَرَتْ رؤوسُ الجِبالِ.

٦وحَدَثَ مِنْ بَعدِ أربَعينَ يومًا أنَّ نوحًا فتحَ طاقَةَ الفُلكِ التي كانَ قد عَمِلها، ٧وأرسَلَ الغُرابَ، فخرجَ مُتَرَدِّدًا حتَّى نَشِفَتِ المياهُ عن الأرضِ. ٨ثُمَّ أرسَلَ الحَمامَةَ مِنْ عِندِهِ ليَرَى هل قَلَّتِ المياهُ عن وجهِ الأرضِ، ٩فلم تجِدِ الحَمامَةُ مَقَرًّا لرِجلِها، فرَجَعَتْ إليهِ إلَى الفُلكِ لأنَّ مياهًا كانَتْ علَى وجهِ كُلِّ الأرضِ. فمَدَّ يَدَهُ وأخَذَها وأدخَلها عِندَهُ إلَى الفُلكِ. ١٠فلَبِثَ أيضًا سبعَةَ أيّامٍ أُخَرَ وعادَ فأرسَلَ الحَمامَةَ مِنَ الفُلكِ، ١١فأتَتْ إليهِ الحَمامَةُ عِندَ المساءِ، وإذا ورَقَةُ زَيتونٍ خَضراءُ في فمِها. فعَلِمَ نوحٌ أنَّ المياهَ قد قَلَّتْ عن

[illegible]

تعُدْ ترجِعُ إليهِ أيضًا.

[١٣] وكانَ في السَّنَةِ الواحِدَةِ والسِّتِّ مِئَةٍ، في الشَّهرِ الأوَّلِ في أوَّلِ الشَّهرِ، أنَّ المياهَ نَشِفَتْ عن الأرضِ. فكشَفَ نوحٌ الغِطاءَ عن الفُلكِ ونَظَرَ، فإذا وجهُ الأرضِ قد نَشِفَ. [١٤] وفي الشَّهرِ الثّاني، في اليومِ السّابعِ والعِشرينَ مِنَ الشَّهرِ، جَفَّتِ الأرضُ.

[١٥] وكلَّمَ اللهُ نوحًا قائلاً: [١٦] «اخرُجْ مِنَ الفُلكِ أنتَ وامرأتُكَ وبَنوكَ ونِساءُ بَنيكَ معكَ. [١٧] وكُلَّ الحَيَواناتِ التي معكَ مِنْ كُلِّ ذي جَسَدٍ: الطُّيورِ، والبَهائمِ، وكُلَّ الدَّبّاباتِ التي تدِبُّ على الأرضِ، أخرِجها معكَ. ولتَتَوالَدْ في الأرضِ وتُثمِرْ وتكثُرْ على الأرضِ». [١٨] فخرجَ نوحٌ وبَنوهُ وامرأتُهُ ونِساءُ بَنيهِ معهُ. [١٩] وكُلُّ الحَيَواناتِ، كُلُّ الدَّبّاباتِ، وكُلُّ الطُّيورِ، كُلُّ ما يَدِبُّ على الأرضِ، كأنواعِها خرجَتْ مِنَ الفُلكِ.

[٢٠] وبَنَى نوحٌ مَذبَحًا للرَّبِّ. وأخَذَ مِنْ كُلِّ البَهائمِ الطّاهِرَةِ ومِنْ كُلِّ الطُّيورِ الطّاهِرَةِ وأصعَدَ مُحرَقاتٍ على المَذبَحِ، [٢١] فتَنَسَّمَ الرَّبُّ رائحَةَ الرِّضا. وقالَ الرَّبُّ في قَلبِهِ: «لا أعودُ ألعَنُ الأرضَ أيضًا مِنْ أجلِ الإنسانِ، لأنَّ تصَوُّرَ قَلبِ الإنسانِ شِرِّيرٌ منذُ حَداثَتِهِ. ولا أعودُ أيضًا أُميتُ كُلَّ حَيٍّ كما فعَلتُ. [٢٢] مُدَّةَ

كُلِّ أيّامِ الأرضِ: زَرعٌ وحَصادٌ، وبَردٌ وحَرٌّ، وصَيفٌ وشِتاءٌ، ونهارٌ وليلٌ، لا تزال».

وفي الإصحاح التاسع:

٨وكلَّمَ اللهُ نوحًا وبَنيهِ معهُ قائلاً: ٩«وها أنا مُقيمٌ ميثاقي معكُمْ ومعَ نَسلِكُمْ مِنْ بَعدِكُمْ، ١٠ومع كُلِّ ذَواتِ الأنفُسِ الحَيَّةِ التي

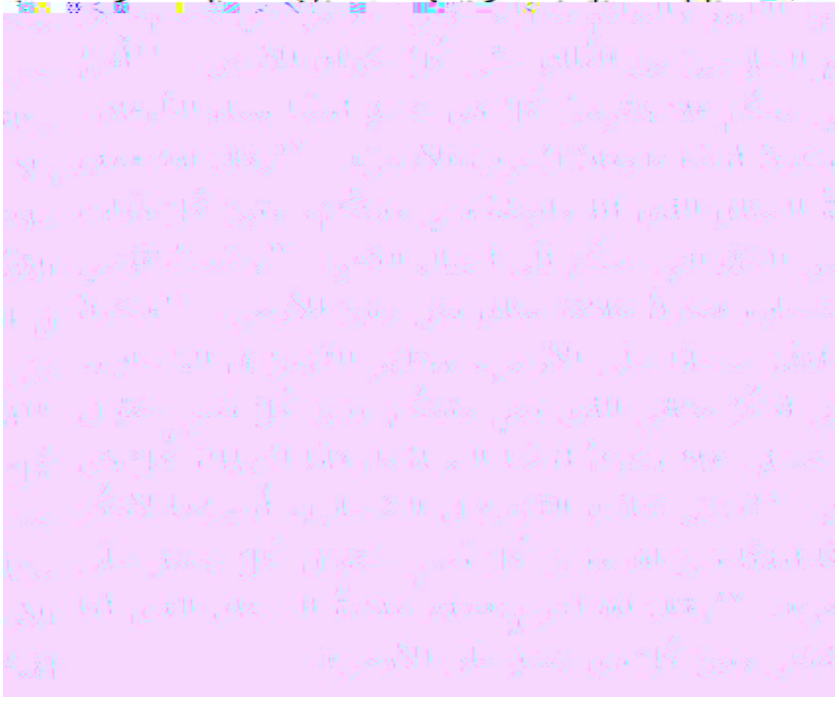

وقد أشار طه باقر لبعض آيات سفر التكوين التي يتشابه مُحتواها مع محتوى الملحمة، فمنها:

الإصحاح ٦: ١٤، ١٥، ١٦، ٢١.

الإصحاح ٧: ٧، ٨، ١١، ١٣-١٦، ٢٠-٢٣.

الإصحاح ٨: ١، ٢، ٤، ٦-١٠، ١٩-٢١.

ثالثًا، آيات مُختارة من القرآن الكريم تحكي قصة نوح مع الطوفان:

"فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣)" سورة القمر.

"وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤٤)" سورة هود.

* استقر الفُلك في الملحمة على جبل نصير، المُسمى حاليًا موقع بير عمر غودرن بتركيا، وفي التوراة على جبل أراراط، اسم أرمينية القديم، وفي القرآن على جبل الجودي، وهو جبل في تركيا والله أعلم.

* ينتهي كل لوح بالديباجة التالية:

اللوح (..) من (هو الذي رأى كل شيء) من سلسلة جلجامش.

نُسخ نقلًا عن الأصل وحُقق.

مكتبة قصر (أشور بانيبال)، ملك العالم، ملك بلاد آشور.

وبانتهاء اللوح الحادي عشر تنتهي ملحمة جلجامش كرواية ذات حبكة مُتماسكة، أما اللوح الثاني عشر فلا تمت أحداثه بصلة إلى أحداث الملحمة، ولكنه أُدمج فيها لغرض أو أخر .

اللوح الثاني عشر

وفيه ترجمة أكدية لقصيدة سومرية لا ترتبط بسير أحداث الملحمة، لكنها تربط بين جلجامش بطل الملحمة وجلجامش ملك العالم الأخر، الذي رأى وخبر المجهول، وكل شيء، فتنتهي القصة بما بدأت به، وفيه إنكيدو ما زال حيًا، يشتكي له جلجامش بأن شيئًا يخصه –لا نعلم ما هو بالضبط– قد سقط في العالم الأخر، فيعرض عليه إنكيدو أن يذهب ليُحضرها له.

يخبره جلجامش بما يجب أن يفعله هُناك:

اذا اعتزمت النزول الى العالم الاسفل هذا اليوم
فساقول لك كلمة فاتبع كلمتي
سارشدك فسر وفق ارشادي
لا تكتس بالحلة النظيفة (الزاهية) والا هب بوجهك الاموات
لانك تبدو غريبا عن عالمهم
لا تمسح جسمك بالزيت الفاخر لئلا يتجمعوا حولك بسبب عطره
لا ترم رمحا في العالم الاسفل مخافة ان تصيب بعضهم فيحيطوا بك
لا تأخذ بيدك عصا والا فان الارواح سترتجف منك
لا تلبس نعلا في قدميك ولا تحدث صوتا في العالم الاسفل
واذا وجدت الزوجة التي تحب فلا تقبلها ٠
واذا صادفت الزوجة التي تبغض فلا تضربها
ولا تقبل الابن الذي تحبه ولا تضرب الابن الذي تكرهه
والا فان صراخ العالم الاسفل سيغلبك » ٠

فيفعل إنكيدو كل ما قد قيل له ألا يفعل، فيحتفظ به العالم الأخر، فيُصلي جلجامش للآلهة أن يُعيدوه له، فيستجيب إيا وشمش، يُحدث شمش كسرًا في الأرض فيخرج منه شبح إنكيدو، ويعود لجلجامش ليقص عليه ما رأه هُناك.

وفي الأصل السومري للقصة تفاصيل أكثر سنُعرج عليها الآن.

القصائد السومرية

* الأولى والثانية يتحدثان عن غزوة غابات الأرز.

* في القصيدة السومرية الثالثة، يأتي جيش من كيش ليُحاصر أوروك بقيادة الملك أجا، ويطلبون استسلام جلجامش، لكن جلجامش ينجح في إنهاء القتال، ويعقدان صلحًا دائمًا بينهما.

* الرابعة تتحدث عن رحلة إنكيدو في العالم الأخر.

* في الخامسة، يُجهز جلجامش جنازته، وهداياه للآلهة، يموت، فيُدفن تحت مياه الفُرات، فتقرر الآلهة جعله ملكًا للعالم الأخر.

وهناك أساطير أخرى تتحدث عن جلجامش مثل:

١. جلجامش وثور السماء.

٢. إنانا وشجرة الحلبو أو الخالوب أو الصفصاف: وجدت إنانا الشجرة في تيار مياه نهر الفرات، فانتشلتها وزرعتها في حديقتها

المقدسة بأوروك لتصنع منها سريرًا وكُرسيًا، وكبرت الشجرة وحط عليها طائر أمجدود (زو) عملاق، نسر برأس أسد، وبنى عُشا لأولاده، وجاءت ليليث الشيطانة، عفريتة القفار، إمرأة مُجنحة عارية، مُكتنزة الصدر، تقف فوق لبؤتين، وتنتهي ساقاها بمخالب طيور كاسرة، وهُناك بومتان عن يمينها ويسارها، لتسكن الشجرة، هي وحية عملاقة.

فجاء جلجامش وصرع الأفعى، ففر الطائر وليليث، هنا قطع جلجامش الشجرة وقدمها لإنانا فصنعت له آلتين موسيقيتين، بكو ومكو، وهما طبل وعصا طبل في الغالب، وربما أيضًا كانتا الشيئان اللذان سقطا من جلجامش إلى العالم الأخر، وإلى هنا ينتهي النص السومري الأصلي ويبدأ نص اللوح الثاني عشر من الملحمة، إذ يذهب إنكيدو ليُحضر بكو ومكو من العالم السفلي.

تفسيرات القصائد السومرية

واللوح الثاني عشر

* في الديانات القديمة نجد تعظيمًا للشجر والمرأة، يرمزان للخصوبة والتكاثر، وفراس السواح يقول أن الإنسان البدائي عبد الشجرة، ليست لذاتها ولكن للروح الكامنة فيها، وتظهر الشجرة خلف عِشتار في تصاويرها دائمًا، وقارن هذا مع عبادة آلهة الغابة القديمة في لعبة العروش، إذ حُفرت وجوه بشرية على جذوع أشجار الشماليين.

وفي الأساطير اليونانية وُلد الإله أدونيس من جذع شجرة المُر، وظل فيها عشرة أشهر، وجاء خنزير بري فمزق اللحاء وخرج الولد، ولا نغفل دور شجرة الحياة في التوراة وظهور الحية التي أخرجت أدم وحواء من الجنة.

وفي كتاب تقشير النص لناجح المعموري، يُشير للعثور على نقش سومري، فيه رجل وإمرأة جالسين على مقعدين وبينهما شجرة تدلت منها ثمرتان، وقد مدا يديهما إلى الثمر، وهناك حية واقفة مُنتصبة خلف المرأة.

وبالنسبة لليليث، والتي أُشتق اسمها غالبًا من (الايل) العبرية بمعنى الليل، وهي عند العرب غولة طويلة الشعر، وعند الإغريق هي الملكة الليبية لاميا، التي هجرها زيوس فخطفت هيرا أبنائها، ومنعتها من إغلاق عينيها للأبد، فانتقمت لاميا لنفسها باختطاف الأطفال والرُضع من أمهاتهم، فهي بهذا تقترب من مفهوم الإلهة

الأُنثى ونقيضتها في نفس الوقت، فعشتار ترمز للحب والموت معًا، وفينوس مثلًا ترمز للحب والجمال، أما ليليث فترمز للشقاق والموت، كما قيل أنها تُضل الرجال في نومهم، فتعتليهم في وضع المُضاجعة، ثم تمتص دماءهم ثم تفترسهم.

ويُقال أن الرب في التوراة خلق ليليث من القذارة والتفل، لتكن وليفة لأدم، فكانت ترفض وضع الاستلقاء باعتبارها ندًا لأدم، فلما حاول أدم استعمال القوة معها، نطقت اسم الله، وظهر لها جناحان وصعدت إلى السماء.

وعند العبرانيين هي أم العفاريت، تهيم في البراري والصحاري والمُستنقعات، وقد اعتقد الملك سُليمان أنها استوطنت أنفه، وأنها سبب عطاسه المُستمر (إذن فهي تُسبب الحساسية أيضًا، علاجك عندي في الصيدلية يا ليليث).

لكن في دين الصابئة المندائيين، فهي على النقيض، تُسمى زهرييل

ليليثا، روح من نور، فتحمل الطفل مع أمه أثناء الحمل، وتُحافظ عليه بعد الولادة.

روابط هامة

١. ملخص كرتوني مُشوق لملحمة جلجامش-مُترجم.

https://youtu.be/HKhDp115EKE

٢. كتاب صوتي-ملحمة جلجامش ترجمة طه باقر، وفكرة علي نجم، والأداء الصوتي لعلي طالب، وأنصح بالاستماع إليه على الفور، أكاد أُجزم أنه أول كتاب صوتي انتهي منه كاملًا في جلسة واحدة، وقد أكد لي أن ملحمة جلجامش قصة تستحق الاستماع والتدبر.

https://youtu.be/80N6BUHkE3Q

٣. محاضرة لأندرو جورج عن ملحمة جلجامش، غير مُترجمة للعربية لكن يصحبها نص إنجليزي مقروء.

https://youtu.be/Rd7MrGy_tEg

تأثير ملحمة جلجامش على الأداب القديمة

حقيقة أننا نقرأ في عام ٢٠١٨ نص أدبي كُتب منذ أربعة ألاف عام جديرة بالتأمل، خاصةً حين نقرأ عن تأثيرها في الثقافات الأخرى.

* جنة عدن، وقصة إنكيدو وشامهات تُشبه قصة أدم وحواء، وخاصة في العهد القديم، فيُخلَق الإنسان من طين، ويعيش مع الحيوانات وتغويه إمرأة، ويقبل الطعام منها، ويُغطي عورته، ويترك البرية ولا يقدر على العودة، وأيضًا هُناك الحية التي تسرق نبتة الخلود، وتخرجهما من الجنة، وفي جنة عدن نجد أنهار الجنة، وتصف الملحمة المكان الذي يسكنه أوتو-نبشتم بفم الأنهار.

ويتحدث بن طُفيل الأندلسي في حكايته (حي بن يقظان) عن خلق شبيه بخلق إنكيدو في الملحمة، فهُناك نظريتان عن ظهور حي على وجه البسيطة، الأولى أنه وُلد من أب وأم مثلنا جميعًا، والثانية أن

خُلق من الطين مُباشرةً، وفي الحالتين ربته غزالة وأرضعته، وعاش مع الحيوانات وعرف لغاتهم، وأوصله تفكيره البشري إلى حقيقة الله عز وجل.

* طوفان نوح في سفر التكوين شبيه جدًا بقصته في الملحمة، وربما استقت القصتين مادتهما من مصدر مُشترك عن طوفان عظيم حدث في العراق القديم.

* الصراع بين اسحاق ويعقوب، يُشبه الصراع بين إنكيدو وجلجامش، حسب رؤية إيستر هاموري في كتابه (أصداء أسطورة جلجاميش في قصة يعقوب)، والتشابه بين جلجامش وشمشون العبري، الرجل الذي قتل الأسود بيديه العاريتين، وصرع ألف رجل، ثم هزمته دليلة الفلسطينية.

* ثيسيوس الإغريقي ابن ملك أثينا، الذي تسلل إليه دم إلهي لأن أمه عشقت بوسايدون إله البحار، وكان ثيسيوس خارق القوى،

وقتل المينوتور، نصف رجل نصف ثور (ثور السماء؟) ثم هبط مع بيريتوس (وهو له كإنكيدو لجلجامش) إلى العالم السفلي ليختطفوا برسفوني زوجة هاديس إله عالم الموتى، ولكن العالم السُفلي يُمسك ببيريتوس، ويتركه ثيسيوس هُناك ويخرج.

الاقتباس واضح جلي.

* هرقل المشهور بهرقليز في ثقافتنا المصرية، هو ابن زيوس كبير الآلهة، وكان خارق القوى، ولا يتوقف عن التحرك والسير في مناكب البلاد، وكان يُدمر ويقتل حين يشتد غضبه، ثم ينتابه الندم، وكان قد نام مع خمسين إمرأة في يوم واحد، ويُقال أن هرقل هو من أسس الألعاب الأوليمبية، كما كان جلجامش يُصارع شباب أوروك.

ثم أنه رغب في اللحاق بركب الآلهة، فطُلب منه انجاز اثني عشر مهمة (لاحظ عدد ألواح ملحمة جلجامش)، منها قتل أسد نيميا، والتنين ذي الرؤوس السبعة، والقبض على الثور المتوحش، والهبوط

إلى العالم السفلي.

ويروي فراس السواح أن اسم Hercules قد يكون مركبًا من كلمتين: Herk المُحورة من أوروك، و Lies يعني أسد في اليونانية، إذن هرقليز هو أسد أوروك! وهو جلجامش.

* وفي أسطورة تُنسب للإسكندر الأكبر، يعبر الإسكندر ومعه خادمه أندرياس أرض الظلام سعيًا وراء ينبوع الخلود، يضل الإسكندر طريقه في الظلام، ولكن أندرياس ينجح في الوصول إلى الينبوع ويشرب ماء الحياة، فيُصبح خالدًا، وفي النسخة الفارسية من الأسطورة نعرف أن أندرياس هو الخضر عليه السلام، كما لا يخفى علينا الأقاويل بأن الإسكندر هو ذو القرنين.

الأنوناكي

هم أبناء آن وكي، إلهيّ السماء والأرض، أكبرهم إنليل، إله الهواء وكبير مجمع الآلهة السومريين، وهو من فصل السماء عن الأرض بعد مولده، فحمل هو الأرض وحمل أبوه السماء، وهم أقوى الآلهة، ومن يقررون مصير البشرية، وفي أنشودة (نزول إينانا إلى العالم السفلي) هم سبعة قُضاة عند عرش إيري شيكجال، ويظهرون بنفس الوظيفة في ملحمة جلجامش، كما يصفهم أوتو-نبشتم، الناجي الخالد من الطوفان العظيم، وقد بكوا البشرية بعد انتهاءها.

وعند البابليين يُقال: من يخاف الأنوناكي تُطال أيامه.

وعند الحيثيين هم الجيل القديم من الآلهة، وقد تم طردهم إلى العالم السفلي بيد الآلهة الأصغر سنًا.

وفي أسطورة أشورية، قاد مردوك جيشه من الأنوناكي إلى مدينة

نيبور المقدسة، فأحدثوا اضطرابًا وطوفانًا، دفع آلهة نيبور للفرار إلى معبد إيشوميشا، فغضب إنليل ونشبت الحرب بينهم، وانتهى الأمر بانتصار مردوك وأسر باقي الآلهة ومنهم إنليل، وتنتهي الأسطورة برجاء الكاتب للآلهة والإنسانية ألا تتكرر الحرب بين الأنوناكي والآلهة.

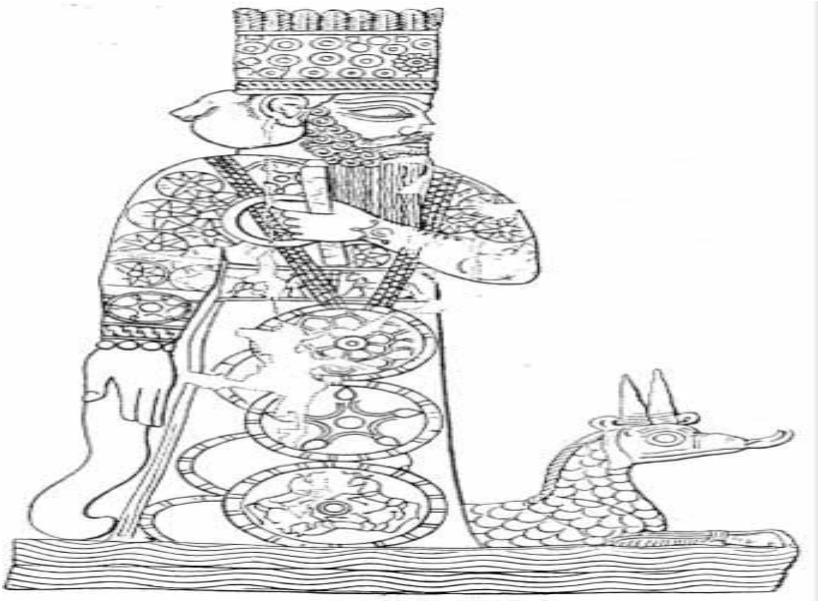

مردوك، كبير آلهة البابليين.

وفي كتاب الكوكب الثاني عشر المنشور عام ١٩٧٦ لزكريا سيتشن، وهو كاتب أمريكي من أصل أذري، زعم أن الأنوناكي كائنات فضائية جاءوا من الكوكب الغامض نيبيرو، وقد جاءوا للأرض من نصف مليون عام بحثًا عن الذهب، وقد استخدموا الهندسة الوراثية لتعديل الإنسان البدائي Homo erctus إلى الإنسان الحكيم المُعاصر Homo sapiens لتشغيلهم كعبيد، ثم اضطر الأنوناكي لترك الأرض بعد طوفان نوح، الذي دمر قواعدهم في الأرض، ويقول ستشين أن الأنوناكي بنوا كل الأثار القديمة التي لا يستطيع البشر القُدامى بناءها دون مُساعدة من رواد فضاء قُدامى زاروا الأرض في فترة ما من تاريخها، وزعم أيضًا أن نسل الأنوناكي المُهجن مع البشر لا يزالون أحياءً في يومنا هذا، ولا يعرفون عن أصلهم الفضائي شيئًا (أو يعلمون، ما الفارق؟)، وفي كُتبه التالية زعم أن الأنوناكي قادمون إلى الأرض عام ٢٠١٢، وهو ما لم يحدث، ففي ذلك العام أتى الأفنجرز وهزموا جيش الشيتواري!

يحيا الأفنجرز.

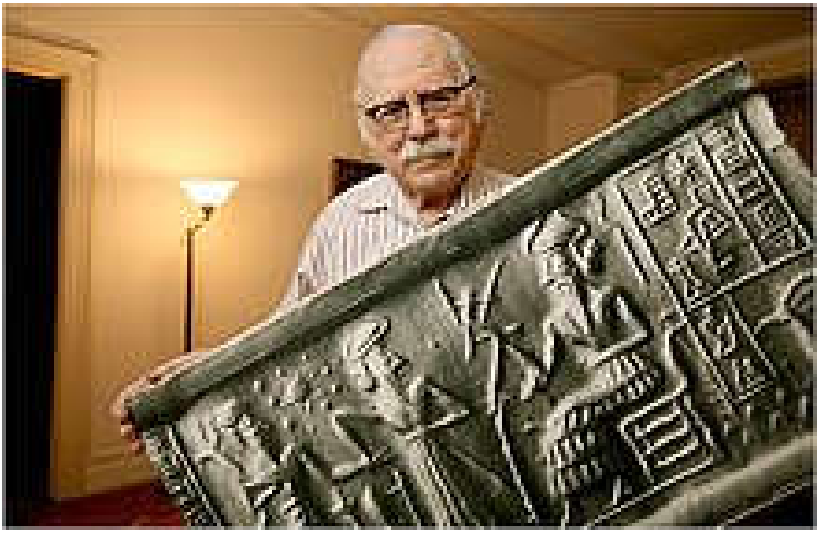

ووصم عُلماء التاريخ هذه الكلمات بالتأريخ الكاذب الذي لا يعتمد على أي أدلة سوى حدس وهوى كاتبه.

وفي عام ٢٠١٦ زعم وزير النقل العراقي وقتها كاظم فنجان أن السومريين بنوا مطارًا في مُحافظة ذي قار لإطلاق سفن فضائية، واستشهد بكلام سيتشن، المُتوفى عام ٢٠١٠ عن عمر ٩٠ عامًا.

ويُقال أن الأنوناكي في الأصل من الزواحف، فهم فضائيين

زواحف، يُغيرون أشكالهم الخارجية كما تتكيف الزواحف مع البيئة المُحيطة بأجسادهم، ويتحكمون بكل سرية في كل الحكومات لاستعباد البشر، وربما يستخدمون الماسونيين والمُتنورين والماجستيك-١٢ كبيادق لهم.

وتُذكرني هذه الاختلاقات بقصص كثيرة، ففي لُعبة عقيدة الحشاشين Assassin's Creed، نجد أن الآلهة الرومانية القديمة، أو يعني من حسبناهم كذلك ثم تبين أنهم بشر من حضارة سبقت الحضارات المعروفة، قد خلقوا أدم وحواء بالهندسة الوراثية، وأن جنة عدن مكان حقيقي هُنا على سطح الأرض، في مكان ما في قارة أطلانطس المفقودة، وفي فيلم بروميثيوس يُسافر طاقم من العُلماء إلى كوكب بعيد ليكتشفوا أن جنس فضائي –التايتنز Titans كما يُسمون في الأساطير الرومانية- هم من خلقوا البشر، وهم من خلقوا الزواحف الفظيعة في سلسلة أفلام Aliens، وفي الفيلم المُقتبس من قصة لكلايف باركر (قطار لحوم منتصف الليل) يقتلون

الناس ليُقدمونهم لسكان الأرض القُدامى من الزواحف، وفي مسلسل V، نجد أن الجنس الفضائي الذي قدم إلى الأرض بمظهر بشري بريء ليسوا سوى زواحف مُخيفة تسعى للسيطرة على الأرض، وأن جنودهم يتخفون بأشكال البشر، ولا سبيل للكشف عن هوياتهم.

وفي الصورة دليل على كون جلجامش كائن فضائي، ألا ترون عيناه الواسعتان؟

ملحمة جلجامش والنص القرآني للعراقي عالم سبيط النيلي

الرجل قد أثرت فيه دراسة الهندسة بطريقة عجيبة، فقال أن القرآن ككتاب إلهي يحوي نظامًا هندسيًا قويمًا يليق بعظمة الله وهذا ينطبق على كلمات وحروف ومفاهيم النص القرآني، وفي كتابه النظام القرآني وضع النظام القصدي لتفسير القرآن الكريم الكريم والنصوص القديمة عامة ومنها ملحمة جلجامش، ورفض الطرق التفسيرية واللغوية القديمة، فكرة النيلي هي أن كل مُفردة هي تعاقب مُعين للأصوات، وأن لكل مُفردة معنى دلالي ثابت لا يتغير، وبالتالي فإن ألفاظ القرآن الكريم مقصودة لذاتها وليست اعتباطًا، "**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ(١٤)**" سورة الطارق، ثم قال بعدم الترادف في القرآن، فلا يمكن أن نضع كلمة مكان أخرى إلا من

باب الشرح، ثم إن الرجل رفض تطبيق قواعد اللغة العربية كلها في فهم القرآن، وقال أن لا مجاز ولا إستعارة ولا كناية في القرآن، وهو بهذا يُعطل أهم أدوات فهم مقصود الله تعالى في مُحكم تنزيله.

لقد حكم على الكتب السماوية بأنها واحد من عند واحد، بعد تطبيقه للقصدية عليهم، واختلاف التأويلات في نفسير كل نص ديني ينتهي بتطبيق نظريته، ويتحدث الكتاب عن محاولات تشويه لترجمة ألواح ملحمة جلجامش إلى اللغات المُعاصرة، ويُدلل على ذلك باختلاف ترجمات المُفردات، وقد قُلنا من قبل أن المُفردات الأكدية رغم وضوح مُعظمها للباحثين المُعاصرين إلا أن الجدل حول المعاني المُختلفة للكلمة الواحدة لا يزال مُستمرًا.

كما أن الكاتب يفترض أن ديانة جلجامش وربما ديانات بلاد الرافدين القديمة كلها كانت التوحيد، وهذا سبب أخر يدعو لتحريف وتشويه الترجمات، كي يستمر القول بأن تعدد الآلهة هو

أصل الاعتقاد الديني للبشر.

ويقول أن جلجامش هو ذو القرنين، واسمه عائش أو عياش، حسب الأدبيات الشيعية، أي طويل العمر، وهو معنى قريب للترجمة السومرية التقريبية لاسم جلجامش، الرجل الذي سيكون نواة شجرة جديدة ، يعني الذي سيكون أسرة.

كنت وحتى وقت قريب أعتقد جازمًا بنظرية المؤامرة الغربية والصهيونية ضد المُسلمين، وربما نظرية المؤامرة العامة، حيث مجموعة من كبار رجال العالم يتحكمون في مُقدرات الشعوب، المالية والدينية والثقافية والتاريخية والعسكرية والمعلوماتية، ربما أُفرد عن هذا مقالًا يومًا ما، فندفع هذا الاعتراض أو نقبله، أو نظل هكذا بين بين، نستعرض كل الأراء إلى ما شاء الله.

وفي هذه الحالة يقول الرجل أن المُتأمرين وحدهم يملكون مفاتيح ترجمة اللغة الأكدية والألواح الأصلية والوثائق القديمة، ويدرسونها

وحدهم ويمنعونها عنا، فيقول أن آنو كبير الآلهة هو (إيلو) أي الإله أو الرب، وقال أن الملحمة ليس لغزًا ولا رمزًا، وأنه بتتبع منهج القصدية في النص نجد أنها قصة واقعية كُتبت بأسلوب أدبي بليغ هزم الزمن، وترسم أخلاقيات رفيعة تتمثل في (جلجامش) الصالح المُقاوم لفتن الدنيا، و(إنكيدو) الذي يتحول من فتن الدنيا إلى الصلاح، (إنانا والآلهة والثور وخُمبابا) كرموز اختلقها الكاتب لافتعال حوار بين جلجامش والدنيا وخيبتها، وتحولت الملحمة إلى أسطورة بسبب أخطاء الترجمة، ويقول أن ذا القرنين –جلجامش– قد أوتي سببًا يوصله لمراده وهو السفر في الفضاء إلى كواكب أخرى (خلصنا هنا من تعدد الآلهة إلى الإنسان القديم المتفوق في التكنولوجيا) وسرد سرعته الفائقة وسيره في ظلام فوقه ظلام والساعات المُضاعفة وعدم قدرة جلجامش على العيش في النظام البيئي الذي يعيش فيه أوتو–نبشتم، ويُقرِن بين "**وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ**

سَبَبًا*فَأَتْبَعَ سَبَبًا" وبين "هو الذي رأى كل شيء" في مطلع الملحمة، ويقول أن الردم هو مغناطيس اصطناعي ضخم أوصل به خيوط الفيض المغناطيسي المُنقطعة عند القطب الشمالي، وأنهما تمنع الكائنات الفضائية من غزو الأرض (أفنجرز مرة أخرى؟!) ويقول أن الخطوط المغناطيسية المُحيطة بالأرض هي العقارب التي تظهر في الملحمة، كاختلاق للترجمات الخاطئة، ويُدلل لى ذلك بشكل العقارب وشكل خيوط الفيض المغناطيسي للأرض.

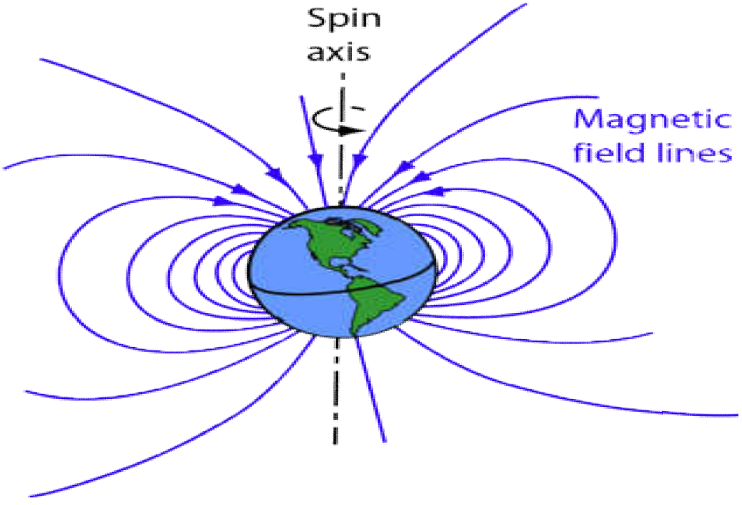

ويقول النيلي كأنه يوجه كلماته لي:

"يبدو أن علينا أن نتصف بنوع من التواضع أمام الأشياء التي لا نُدرك مغزاها، فإن الرفض دومًا أسهل السبل، وهو سبيل الجهلاء."

سامحك الله.

ويقول ما معناه "إن الاعتقاد بمعرفة أسرار الطبيعة وحدنا دون الأمم السالفة لهو اعتقاد يحتاج أكثر من وقفة."

وكما يقول فراس السواح: "إن اكتشاف حدود الكون السحيقة، واكتناه أسرار الذرة وخفايا البيولوجية الحية، والهبوط على سطح الكواكب، هي تتمة للأوديسة الجلجاميشية."

ربما كان مُحقًا، وأرى والله أعلم أن النصوص الخيالية لا تحتاج لإضافة المزيد من التخيل، بل نحتاج إلى مُطابقتها للواقع، مع تقبل تأثر النص بالأسطورة، وبهذا سنستفيد أكثر، يعني حين نقول أن

غزوة غابات الأرز وقتل خُمبابا هي غزوة حقيقية للأرض التي هي لبنان الحالية، وأن جلجامش احتاج الأخشاب لأسباب عُمران أوروك مثلًا، أو لرفع اسمه في العالمين وهو ما حدث فعلًا، هذا أوقع سحرًا وقابل للتصديق أكثر من رحلة فضائية في دروب مظلمة ومُقابلة لثانوس فضائي شرير يُريد غزو الأرض، اعتقد أن هذا لوي للنصوص القرآنية العظيمة وكذلك لنصوص الملحمة الأكدية، وعلى كلٍ فإن كلمات الرجل تفتح أفاقًا من الأفكار ولا أملك إلا أن أشكره على طرحه رغم اختلافي معه.

وهذا رابط يتحدث فيه عن رؤيته لنظريته وملحمة جلجامش.

https://youtu.be/WD0ielWSiNU

ونُنهي قصتي مع جلجامش مع **قصيدة درويش**، فاستمع واستمتع وعيّ:

كم من الوقت انقضى منذ اكتشفنا التوأمين:

الوقتَ

والموتَ المُرَادِفَ للحياة؟

ولم نزل نحيا كأنَّ الموتَ يُخطئنا،

فنحن القادرين على التذكُّر

قادرون على التحرُّر،

سائرون على خُطى جلجامشَ الخضراءِ من زَمَنٍ إلى زَمَنٍ

هباءٌ كاملُ التكوين

يكسرُني الغيابُ كجرَّةِ الماءِ الصغيرة.

نام أنكيدو ولم ينهض.

جناحي نام

مُلْتَفّاً بحَفْنَةِ ريشِهِ الطينيِّ.

آلهتي جمادُ الريح في أَرض الخيال.

ذِراعِيَ اليُمْنى عصا خشبيَّةٌ.

والقَلْبُ مهجورٌ

كبئرٍ جفَّ فيها الماءُ،

فاتَّسَعَ الصدى الوحشيُّ:

أنكيدو! خيالي لم يَعُدْ يكفي لأُكملَ رحلتي.

لا بُدَّ لي من قُوَّةٍ ليكون حُلْمي واقعيّاً.

هاتِ أَسْلِحتي أُلَمِّعْها بمِلح الدمعِ.

هاتِ الدمعَ أنكيدو، ليبكي المَيْتُ فينا الحيَّ.

من أنا؟

مَنْ ينامُ الآن أنكيدو؟

أَنا أَم أَنت؟

آلهتي كقبض الريحِ.

فانهَضْ بي بكامل طيشك البشريِّ،

واحلُمْ بالمساواةِ القليلةِ بين آلهة السماء وبيننا.

نحن الذين نُعَمِّرُ الأرضَ الجميلةَ

بين دجلةَ والفراتِ ونحفَظُ الأسماءَ.

كيف مَلَلْتَني يا صاحبي ، وخَذَلْتَني،

ما نفْعُ حكمتنا بدون فُتُوّةٍ، ما نفعُ حكمتنا؟

على باب المتاهِ خذلتني، يا صاحبي،

فقتلتَني،

وعليَّ وحدي أَن أرى وحدي، مصائرنا.

ووحدي أَحملُ الدنيا على كتفيَّ ثوراً هائجاً.

وحدي، أَفتِّشُ شاردَ الخطوات عن أَبديتي.

لا بُدَّ من حَلِّ هذا اللُغْزِ .

أنكيدو ، سأحملُ عنكَ عُمْرَكَ ما استطعتُ

وما استطاعت قُوَّتي وإرادتي أَن تحملاكَ.

فمن أَنا وحدي؟

هَبَاءٌ كاملُ التكوينِ من حولي.

ولكني سأُسْنِدُ ظلَّك العاري على شجر النخيل.

فأين ظلُّكَ؟

أَين ظلُّك بعدما انكسرَتْ جُذُوعُك؟

قمَّةُ الإنسان هاويةٌ.

ظلمتُكَ حينما قاومتُ فيكَ الوَحْشَ،

بامرأةٍ سَقَتْكَ حليبَها، فأنِسْتَ واستسلمتَ للبشريِّ.

أنكيدو، ترفَّقْ بي وعُدْ من حيث مُتَّ،

لعلَّنا نجدُ الجوابَ،

فمن أَنا وحدي؟

حياةُ الفرد ناقصةٌ، وينقُصُني السؤالُ،

فمن سأسألُ عن عبور النهر؟

فانهَضْ يا شقيقَ الملح

واحملني.

وأَنتَ تنامُ، هل تدري بأنك نائمٌ؟

فانهض، كفى نومًا!

تحرَّكْ قبل أَن يتكاثَرَ الحكماءُ حولي كالثعالب:

"كُلُّ شيء باطلٌ، فاغنَمْ حياتَكَ مثلما هِيَ برهةً حُبْلَى بسائلها،

دَمِ العُشْب المُقَطَّرِ.

عِشْ ليومك لا لحلمك.

كلُّ شيء زائلٌ.

فاحذَرْ غداً وعشِ الحياةَ الآن في امرأةٍ تحبُّكَ.

عِشْ لجسمِكَ لا لِوَهْمِكَ.

وانتظرْ ولداً سيحمل عنك رُوحَكَ

فالخلودُ هُوَ التَّنَاسُلُ في الوجود.

وكُلُّ شيءٍ باطلٌ أو زائل،

أو

زائل أو باطلٌ."

القصيدة بصوت درويش

https://youtu.be/0NaJhyznKPg

* يُلاحظ أن درويش ينطق بصوته اسم أنكيدو، بفتح الألف، في حين إن الكلمة بالأنجليزية هي Enkidu، وفي الكتاب الصوتي كذلك، بكسر الألف.

فيا إنكيدو، ترفق بي.

فائدة

هناك مشكلة تقابلني مع سماع الموسيقى، تتسرب للوجدان بشكل مُفزع، وأعجبني كلام أحمد سالم في هذه النقطة، فقال أن الموسيقى تلعب على مداعبة الروح لا الجسد، وهي تعمل في نفس المنطقة التي يفعل فيها الوحي والأذكار وأعمال القلوب أفعايلهم، وهذا سبب وجيه يجعل للموسيقى هذا الأثر في نفسي حين استمع للملاحم والمعارك، أو كما حدث لما استمعت لكتاب ملحمة جلجامش الصوتي، وموسيقاه الخلفية.

وهذا هو المقطع الذي يتحدث فيه أحمد سالم عما ذكرت سالفًا.

https://youtu.be/31qxLvsVoFs

نهايةً

الخلود، حلم البشرية الأزلي.

ونحن نقرأ الكتب لنعيش حيوات كثيرة، كلما استزدت كلما طال عمرك، لأن حياة واحدة لا تكفينا، أليس كذلك؟

تحتوى رحلة جلجامش على حكايات عدة، خيالية أو واقعية، مجازية أو قصدية، موجزة أو رتيبة، لكنها جميعًا تمتلئ بالأفكار والمتعة، والحكمة.

تختلف التفسيرات حول كون جلجامش ديكتاتور دموي، أو باحث عن الخلود، أو رجل مُتصوف بلغ عين الحقيقة، أسطوري أم حقيقي، رموز تتابين مستويات تفكيكها، لا يتفق تفسيران على الرسالة المُبطنة في الملحمة، وهو ما يُكسبها بالإضافة لِقِدَمها أهمية كبرى، وأزعم أني استمتعت بالسير في ركاب جلجامش ومن كتبوا عنه.

قائمة كتب تُقرأ فيما بعد

وإذا أراد الله أن أقرأ ثانية عن جلجامش وما يُحيط به من أعاجيب، فسأقرأ هذه الكُتب القيمة، لأني لم أطلع عليها حق الإطلاع، وأخذت منها ما يدعَمُ موضوع اليوم فحسب:

١. قصة الحضارة-ويل ديورانت

٢. متون سومر – خزعل الماجدي

٣. مغامرة العقل الأولى-فراس السواح

٤. الأسطورة الحقيقية في القصص التوراتية-زينون كوسيدوفسكي

٥. الإلياذة والأوديسة – هومر

٦. المُعلقات سيرة وتاريخًا - نجيب البهبيتي

٧. المعلقة العربية الأولى: أو عند جذور التاريخ-نجيب البهبيتي

٨. بين الركام: ملحمة جلجامش العظيمة، كيف ضاعت وكيف أُكتشفت- ديڤيد دامروش

٩. المسكوت عنه في ملحمة جلجامش-ناجح العموري

١٠. هرقل: المؤثرات الرافيدينية في صورة البطل-د. محمد حسين النجم

١١. مظاهر الأسطورة – مرسيا إلياد

١٢. عِشتار ومأساة تموز- فاضل عبد الواحد علي

جلجامش وإنكيدو يُقاتلون ثور السماء، دون مُساعدة من الآلهة.

المصادر

١. ملحمة كلكامش: أوديسة العراق الخالدة-طه باقر-نسخة مجهولة المصدر.

٢. كنوز الأعماق: قراءة في ملحمة جلجامش-فراس السواح-تنوير للدراسات-نيقوسيا-قبرص-طبعة أولى سورية-١٩٨٧-دمشق-سوريا.

٣. هو الذي رأى: إعداد درامي لملحمة جلجامش عن النصوص الأدبية-الأعمال الكاملة، فراس السواح-دار التكوين-الطبعة ١-٢٠١٦-دمشق-سوريا.

٤. تقشير النص: قراءة في أسطورة أنانا جلجامش وشحرة الخالوب-ناجح المعموري-دار المدى-الطبعة ١-٢٠١٢-دمشق-سوريا.

٥. ملحمة جلجامش: ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي-د.نائل حنون-دار الخريف-الطبعة ١-٢٠٠٦-قصاع-دمشق-سوريا.

٦. ملحمة جلجامش: هو الذي رأى-تأليف الكاهن البابلي: سن ليكي إنيني-نظم وترميم وتعليق: جرجس ناصيف-مكتبة لبنان ناشرون-طبعة ثناية مُنقحة-٢٠١٠-بيروت-لبنان.

٧. ملحمة جلجامش والنص القرءاني-عالم سبيط النيلي-دار المحجة البيضاء-الطبعة ١-٢٠٠٥.

٨. قصة الحضارة-الجزء الثاني من المجلد الأول-الشرق الأدنى-ويل إيرل ديورانت-ترجمة محمد بدران

٩. مقالات ويكيبيديا

Ancient Mesopotamian Religion

Anunaki

Mesopotamia

Gilgamesh

Epic of Gligamesh

10. The epic of Gilgamesh-N. K. Sanders-Assyrian International News Agency Books Online.

11. The epic of Gilgamesh-Maureen Gallery Kovacs-1998.

12. "Ancient History in depth: Mesopotamia"- BBC History-Retrieved-21/7/2017

13. Kramer, Samuel Noah-The Sumerians: Their History, Culture, and Character-Chicago univ.-1963 (PDF)

https://oi.uchicago.edu/sites/oi.uchicago.edu/files/uploads/shared/docs/sumerians.pdf

14. Archi, Alfonso-The Names of the Primeval Gods-Orientalia, NOVA-Rome-Italy-Gregorian Biblical Press-1990.

15. Robertson, David G., Cox, James; Sutcliffe, Steven; Sweetman, William, eds-UFOs, Conspiracy Theories and the NewAge: Millennial Conspiracism-2016.

17. Joseph sheban: following the gods-Philosophical library-newyork-1963.

قوائم القراءة

٣٠ قائمة قراءة لكتب مُختلفة الأذواق والأحجام والعصور، سأكتب الآن تبسيط ميسر لهم، ويُسعدني أن أبعث لمن يريد أسماء كتب أي قائمة مُنهم، فقط ابعث برسالة إلى بريدي الإلكتروني، ستجده بالأسفل :

١. أعظم الكتب في التاريخ

٢. روايات البوكر العربية (كل القوائم القصيرة والطويلة)

٣. أعمال الفائزين بنوبل

٤. أهم ما قرأت من ٢٠١٦ إلى ٢٠١٨

٥. روايات مُترجمة كلاسيكية

٦. روايات مُترجمة حديثة

٧. أفضل الروايات العربية (حسب اختيار اتحاد الكتاب العرب)

٨. ترشيحات أحمد عبد المجيد وعمرو العادلي – روايات

٩. أفضل الروايات المصرية المُعاصرة

١٠. أفضل الروايات العربية المُعاصرة

١١. سلاسل الكتب والروايات

١٢. ترشيحات رحيق الكتب – يوسف زيدان

١٣. ترشيحات عصير الكتب – بلال فضل

١٤. كتب العلوم الإنسانية

١٥. كتب العلوم الطبيعية

١٦. كتب الطب والصيدلة (بالانجليزية غالبًا)

١٧. ترشيحات أبو ذر القلموني في كتاب ففروا إلى الله

١٨. ترشيحات أحمد سالم أبو فهر (قائمة البداية وكتابه السبل المرضية)

١٩. ترشيحات نور الدين قوطيط

٢٠. أمهات الكتب العربية

٢١. ترشيحاتي الخاصة في مجالات عدة

٢٢. كتب المهارات والتنمية البشرية

٢٣. كتب الأدب والنقد وتعلم القراءة والكتابة

٢٤. كتب الأديان والمُعتقدات

٢٥. كتب في التربية

٢٦. كتب وروايات باللغة الإنجليزية

٢٧. كتب الترشيحات والمُراجعات

٢٨. مقالات مُنتقاة من عدة مواقع أشهرها ويكيبديا الانجليزي

٢٩. ترشيحات كورسات أونلاين في شتى المجالات

٣٠. ترشيحات الأفلام والوثائقيات الأعظم على مر العصور

الفكرة هي التعرف على أفضل ما قد يقرأه الانسان ويستفيد منه تبعًا لما قرأه المثقفون من شتى المجالات والتيارات، ولا يُشترط أن تقرأ أي قائمة منها كاملة، ولكنك على الأقل ستعرف أن الكتاب الفُلاني قد رشحه أحدهم لأنه وجد فيه فائدة، وسأذكر قدر استطاعتي الشخص الذي رشح كل كتاب في هذه القوائم.

والدال على الخير كفاعله.

للتواصل مع الكاتب

الصفحة الشخصية على فيس بوك باسم: د. أحمد تركي

https://www.facebook.com/AhmedTheRightKnight

البريد الالكتروني

ph.ahmedrknturky_1972015@yahoo.com

صدر للكاتب:

١. رواية شقوق الفزع-الفائزة بمسابقة الرعب والفانتازيا-دار إبداع للنشر والتوزيع-القاهرة-٢٠١٩-حاليًا بالمكتبات .

وهو العمل الورقي الوحيد، حتى الآن.

٢. قصتي مع جلجامش، نصوص وتفسيرات-بحث إلكتروني.

٣. ديمو- مجموعة قصصية.

٤. أنا، كتولو- ترجمة إلى العربية لقصة الكاتب نيل جايمان.